الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي.
جامعة غليزان.
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

المطبوعة البيداغوجية للترشح لمصاف أستاذ التعليم العالي في مقياس

تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر

المستوى: السنة الثانية ليسانس تاريخ

التخصص: تاريخ عام

المقياس : تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر.

إعداد: د. بلقاسم ليلى

الرتبة: أستاذة محاضرة" أ"

السنة الجامعية: 2024/2023

السداسي الثالث:

1-تراث القرن 15

أ- مؤثرات الحياة الثقافية.

ب- العلماء والأمراء

ت- اللغة والأدب العربي.

2- علم الكلام والفلسفة:

أ- العلوم والمنطق.

ب- القراءات وتفسير العلوم الشرعية.

3- **المؤسسات الثقافية**:

أ- الأوقاف.

ب- المساجد والزوايا.

ت- المعاهد العليا والمكتبات.

1. تراث القرن 9هـ/ 15 م:

أ- مؤثرات الحياة الثقافية:

أولا: المؤثرات السياسية:

كان القرن 9هـ/ 15 م عصر إنتاج ثقافي وفير، غير أنّه كان على المستوى السياسي عهد اضطراب وتدهور، ذلك أنّ الحدود السياسية لم تكن قارة فالمغرب الاسلامي كانت تحت نفوذ ثلاث دول: المرينية بفاس، والزيانية بتلمسان والحفصية بتونس، مع العلم أن سلطات هذه الدول الثلاث كانت متشتتة ومحدودة الإمكانيات المادية والدفاعية، وغير قادة على إحكام السيطرة على قواعدها والمحافظة على وحدتها، ضعيفة أم التحديات الخارجية، أما في الداخل فقد خرج على نطاقها العديد من المجموعات لتستقل بمناطقها تحت قيادة قبائل قوية تمحورت في غالب الأحيان حول طرقة دينية تجسدت في ولي صالح.[1] وكان بينهم التطاحن الإقليمي إلى جانب الصراع العائلي فكل أسرة من الأسر المذكورة كانت في خصومة داخلية حول الملك، فكثرت الحروب وسادت الفوضى وعمت اللصوصية وارتخى حبل الأمن[2]. وكان المغرب الأوسط (الجزائر) مسرحا أكثر لذلك، من تونس والمغرب الأقصى بحكم موقعه الجغرافي، الشيء الذي أضعف السلطات المركزية، خاصة لدى بني زيان الذين كانوا يسيطرون نظريا على القسم الغربي من الجزائر الحالية، حيث ظلت مملكتهم عرضة لغزوات بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في تونس[3]. فانعدام الأمن جعل الناس تفقد العدل في

---

[1]– دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، تونس، مركز النشر الجامعي، 2003، ص: 10.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص: 41.

[3]– صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، 1514– 1830، ط2، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص:07.

الحكم ويعتمدون على أنفسهم في نيل حقوقهم، وهكذا أصبح العلماء والقضاة حسب نوزال المازوني يقومون بالسهر على تنفيذ القانون[1].

إن الوضع السياسي المتردي جعل المنطقة المغاربية مسرحا للتوسع الأوروبي المسيحي، الذي كانت على رأسه كل من البرتغال وإسبانيا، اللذان اقتسما الفضاء المغاربي، الذي تكاثفت فيه مصالحهما[2]، فقد دخلت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط مرحلة الانحطاط والضعف، وأصبحت لقمة سائغة للإسبان ثم الأتراك[3]، فأصبحت أنّ عددا من ثغور المغرب الإسلامي كان تحت وطأة هذا الاحتلال وكانت المدن الداخلية مهددة بذلك، منه احتلال دلس وجيجل وعنابة وبجاية ووهران ..وأصبح هؤلاء الغزاة يتدخلون في الشؤون الداخلية لكل إقليم من الأقاليم الثلاث و لكل أسرة من الأسر الحاكمة، بل كان أحد الأطراف المتنازعة إقليميا أو عائليا تلتجأ إلى الأجنبي في ظل سيطرة هؤلاء الأجانب على الطرق البحرية والمسالك التجارية، وفي ظل ضعف القادة السياسيين ظهر دول العلماء والمرابطين في قيادة العامة في الحروب ورد غارات الأجنبي.

كما كانت مناطق شاسعة في المغرب الأوسط لا تخضع لسلطة الزيانيين أو الحفصيين أو المرنيين، فقبيلتا سويد وبني عامر الشهيرتان كانتا تسيطران على معظم السهول في القطاع الغربي، وكان آل مقران* يتصرفون في القبائل الصغرى (وادي بجاية)، وكانت قاعدة إماراتهم قلعة بني عباس، ثم

---

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه،ص: 43

[2]–دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، تونس، مركز النشر الجامعي، 2003، ص: 10.

[3]–صالح، عباد: نفس المرجع، ص: 10.

*: كلمة آمقران هي كلمة بربرية تعني الكبير او الزعيم، أ كبير القبيلة أو القوم .

Voir :

Charles , FERAUD, Histoire des villes de Constantine– Sétif, In R.S.A.C, Constantine, 1872, P : 201.

تنحدر أسرة آل مقران من الشيخ عبد الرحمان الذي جاء من بلاد المغرب الأقصى في حوالي 1490م حسبما يذكر فيرو (Feraud)، واستقر بقلعة بن عباس عند آعالي جبال بيبان الجديد، واستطاع ان يؤسس إمارة محلية متخذا من القرية السابقة الذكر عاصمة لحكمه، وبعد وفاته خلفه ابنه السلطان عبد العزيز الذي عرفت الإمارة في عهده أوج قوتها وعنفوانها، وهو من عاصر

تحولت إلى مجانة،وقد تمتعت الأسرة بنفوذ وسلطة كبيرة سواء في عهد الإمارة في قلعة بني عباس أو في عهد المشيخة بمنطقة مجانة[1]، والقبائل الكبرى كانت تحت تصرف آل القاضي*، ومقر إقامتهم جبل كوكو[2]، أما العالم الصوفي الشيخ عبد الرحمان الثعالبي فكان على رأس إمارة الثعالبة** بمدينة

مجيء الأتراك إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، وهذا ما أشار اليه الورتيلاني في رحلته حيث ذكر أنه عندما مر بمجانة، كان يحكمها سلطان يدعى محمد بن أحمد بن القندوز المقراني العباسي، حفيد الشريف سيدي أحمد بن عبد الرحمان، الذي كان مرابطا خلال القرن التاسه هجري (16م)، وكان له ولد هو احمد الذي شيد قلعة بني عباس، وأسس المملكة خلال القرن العاشر هجري (16م)، حيث نظم الجيش وفرض الضريب، ووسع المملكة حتى بلغت حدود تونس ووادي ريغ، وجنوبا حتى ميزاب والأغواط. وقد عمرت هذه المملكة ثمانين عاما، حتى زالت بمقتل السلطان سيدي ناصر على يد بني عباس حسي اعتراف أحد علماء القلعة .

Voir :

–Charles, Feraud : Histoire des villes de Constantine– Sétif, In R.S.A.C, Constantine, 1872, P : 136.

Voir aussi :

–Louïs, RINN : Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger: Librairie Adolphe Jordan, 1891,P : 15

تميزت علاقة سلاطين إمارة بني عباس بالحكام الأتراك تارة بالود والتحالف والتعاون وفق مبدأ مصالح المتبادلة، حيث كان الأتراك يستعينون بسلاطين هذه الإمارة في حكم المنطقة الواقعة غرب بايلك الشرق الجزائري مقابل امتيازات كانت تمنح لهم، وتارة أخرى تميزت العلاقة بالتوتر والصراع والحروب، كلما حاول الاتراك الإنقاص من نفوذ و سلطة المقرانيين بتلك المنطقة، أو المساس بسيادتهم على المناطق التابعة لنفوذهم.

ينظر:

الحسين، بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح، محمد بن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا، 1908، ص: 08.

[1]– الحسين، بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تح، محمد بن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا، 1908، ص: 08.

*__ابن القاضي:__ تتفق الدراسات على أنّ هذه القبيلة من أصل آل الغبريني أو قبيلة بني غبري جنوبي بجاية، وهي من سلالة أبي العباس الغبريني، والذي كان قاضي بجاية، ومن احفاد هذه الأسرة نشأ أحمد ابن القاضي وقد عينة السلطان الحفصي حاكما على مدينة عنابة قبل أن يرسله إلى سنة 1512م إلى بجاية لمساعة الإخوة بربروس في تحريرها من الإسبان، وفي أثناء توجهه إلى بجاية استقر في جبال البابور أين التفت حوله القبائل نظرا لكونه من عائلة معروفة وذات شان وجعلته اميرا عليها بعد استقراره في جبل كوكو قرية أورير التابعة لعرش آيت غبري.

Voir :

Boulifa, SA : Le Djurdjura à travers l'histoire, Bringau Imp Ed, Alger, 1925, P.P :96, 113.

[2]– أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح، المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 16.

**__: قبيلة الثعالبة:__ من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير بن معقل، كان موطنهم لعهد ابن خلدون بمتيجة من بسيط الجزائر، وكانوا قبلها بالتيطري (اقليم المدية ونواحيها)، من بطونهم بنو سالم وبنو تومي حكام الجزائر، في نهاية القرن الثاني عشر استوطنت قبيلة الثعالبة العربية سهل متيجة بأكمله دخلوا في حرب مع بني مزغنة، وفي سنة 1438م عندما اغتال سكان الجزائر ملكهم الجديد،

الجزائر وسهول متيجة يحكم المنطقة حكما ذاتيا[1]، يقول الشيخ مبارك الميلي:" وإذا لم يظهر من الثعالبة أمراء عظام فكفاهم فخرا عبد الرحمان الثعالبي دفين الجزائر وعالم القرن التاسع[2]، حيث عانى كثيراً من هجمات المسحيين الأسبان[3]. لهذا وجه الثعالبي رسالة* إلى أحد علماء زواوة وهو " محمد بن أحمد بن يوسف الكفيف"* يدعوه فيها إلى الجهاد ومواجهة بني الأصفر، وهذا ما يدل على أنّ العلاقة كانت منقطعة بين الثعالبي وبني زيان، وأنّ إمارته لم تكن تخضع لهم، فقد كان الزيانيون لا يسيطرون إلا على تلمسان وضواحيها وساحل البحر إلى مقربة من مدينة الجزائر[4].

وضعوا أنفسهم تحت حماية قبائل الثعالبة، فأقامت مدينة الجزائر نوعا من الإدارة البلدية، أو نظام الجماعة، وكان أول رئيس جماعة باشر تسيير المدينة هو الشيخ

[1]– عبد الرزاق، قسوم: عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، ش،م،ن،ت، الجزائر، 1978، ص: 25. عبد الرحمان الثعالبي.

[2]– بن عتو، حمدون: الثعالبة في الجزائر من خلال المصادر المحلية، الحوار المتوسطي، مارس 2017، العدد 17، ص، 439.

[3]– وليم، سبنسر: الجزائر في عهد ريّاس البحر، تح، عبد القادر زبادية، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1980، ص: 31

*: **ينظر إلى نص الرسالة كاملة :**

– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، 1990، ص،ص: 208،209.

*: مرزوق– ابن الكفيف: 824هـ–901هـ/ 1421م– 1486م.

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسي التلمساني، المعروف بالكفيف :من أعيان فقهاء المالكية. من أهل تلمسان، وهو ولد إبن مرزوق الحفيد) السابقة ترجمته .(أخذ عن أبي الفضل بن الإمام وقاسم العقباني وعبد الرحمن الثعالبي وغيرهم. وأجازه من مصر شيخ الإسلام الحافظ إبن حجر العسقلاني .قال السخاوي" :قدم مكة فأخذ عنه في الفقه وأصوله والعربية والمنطق في سنة ٨٦١ هـ" وعاد الى تلمسان فأخذ عنه جماعة، ووصفه الونشريسي في وفياته بالفقيه.

ينظر:

–عادل، نويهض: كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص: 292.

[4]– أحمد توفيق، المدني: حروب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492– 1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص،ص: 93،95.

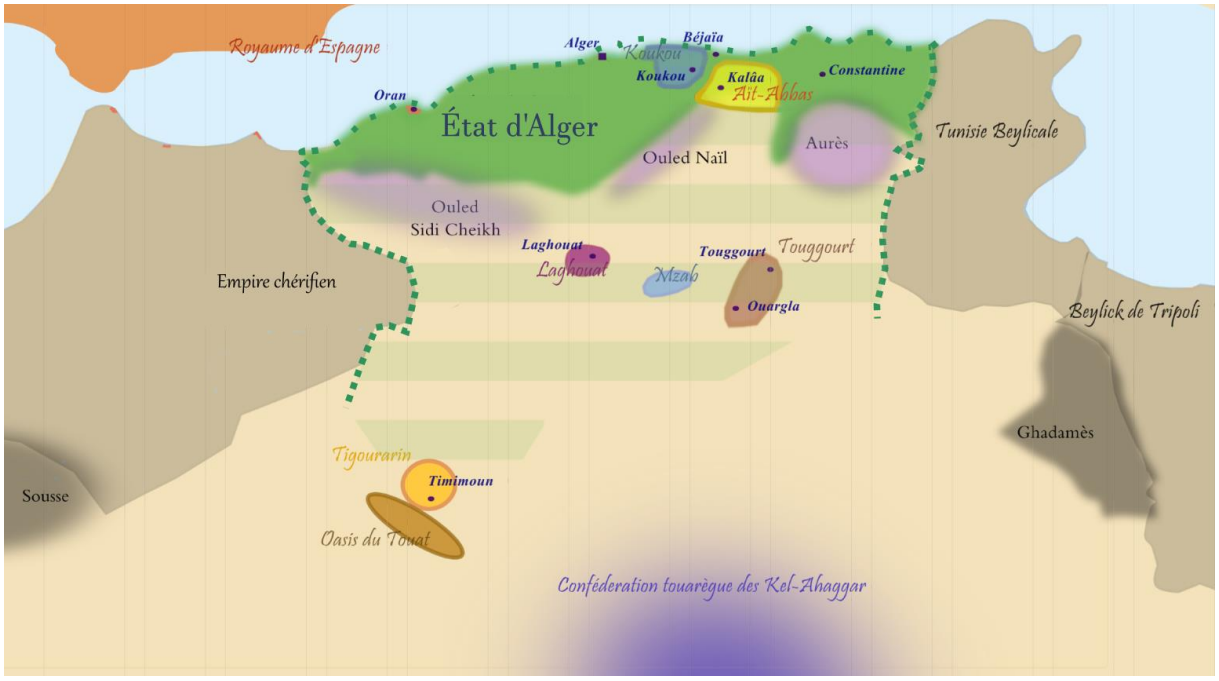

خريطة تبين موقع إمارة كوكو ببجاية.

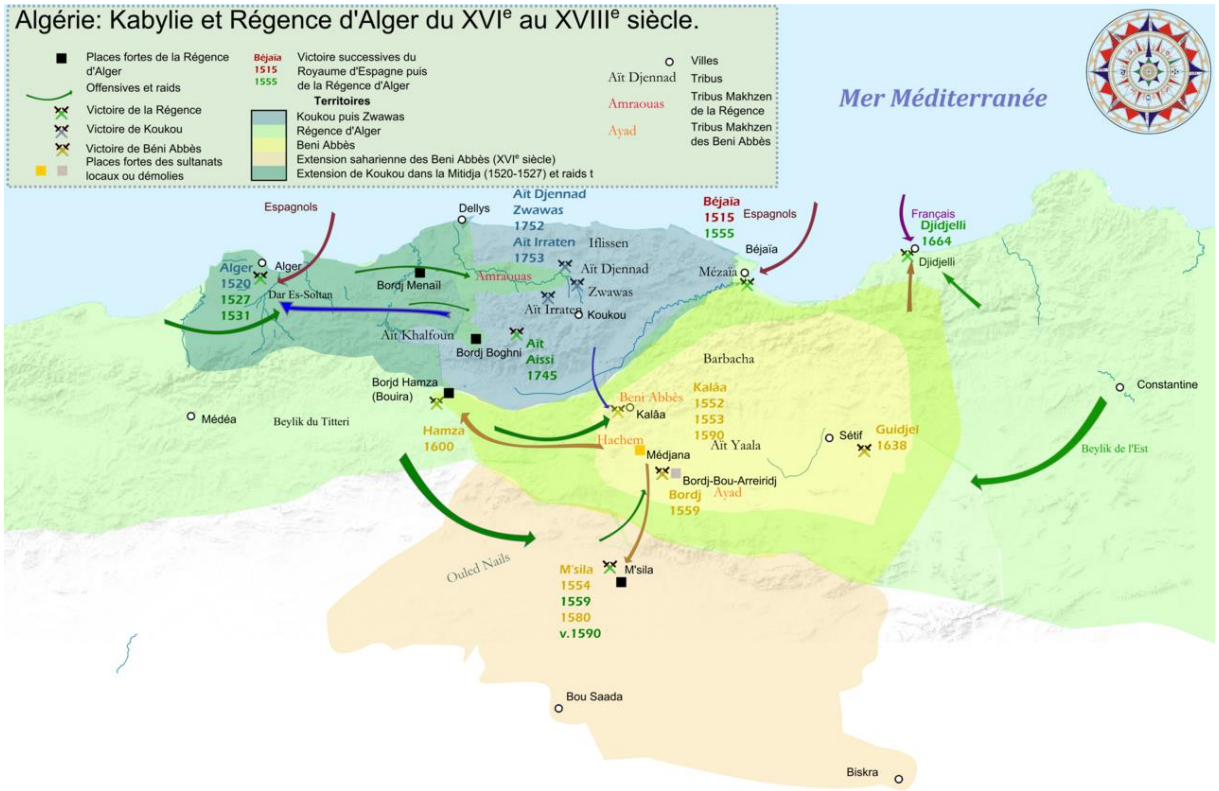

خريطة تاريخية لمملكة بني عباس وكوكو.

من خلال قراءة رسالة عبد الرحمان الثعالبي في الجهاد نعرف مدى تدهور الأوضاع السياسية في وسط البلاد، ومنها نعرف أيضا مدى ضعف القادة السياسيين وأهمية دور العلماء المرابطين في قيادة العامة في الحروب، ورد غارات الأجانب خصوصا ما تعلق ببجاية وسهل ميتجة وما حولها، ومن الملاحظ أنّ التعالبي لم يشر في رسالته إلى أمير أو سلطان، وكان يهب بالعلماء أن يتحملوا مسؤولياتهم أمام الله والنّاس، لصد غارات الأجانب وبني الأصفر كما كان يسميهم[1]،

أترث الاضطرابات السياسية وسوء الأحوال الاقتصادية على الحياة الثقافية، ما تسبب في هجرة العلماء إلى المشرق والمغرب وربط آخرون مصيرهم ببعض الأمراء بينما فضل آخرون حياة الزهد، ومن ذلك هجرة أحمد بن يحي الونشريسي إلى فاس لأسباب سياسية ومحمد بن عبد الكريم المغيلي من تلمسان إلى السودان القديم، وأبي الفضل المشدالي البجائي إلى المشرق، كما سخر البعض أنفسهم للسلطان إذ الف ابن القنفد الفاسية للسلطان أبي فارس الحفصي، وألف محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان للسلطان محمد بن أبي تاشفين، بينما اختار عبد الرحمان الثعالبي وتلميذه أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري ومحمد بن يوسف السنوسي حياة العزلة والتصوف[2].

ورغم الحياة السياسية المضطربة فقد عرفت بعض المدن نموا بعدد سكانها وإشعاعا بمدارسها ومساجدها كتلمسان ووهران وقسنطينة وبجاية ومازونة والجزائر وعنابة وبسكرة... حيث برزت عائلات اشتهرت بالعلم والتدريس والتأليف والتصوف، أهمها عائلة المقري والعقباني بتلمسان وعائلة ابن باديس والقنفد بقسنطينة وعائلة المنجلاني والمشدالي ببجاية، والفقيه موسى بن عيسى صاحب

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1، ص: 43.

[2]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه،ص: 44.

ديباجة الافتخار بمازونة وابنه يحي صاحب الدرر المكنونة في النوازل، وعرفت مدينة الجزائر بعالمها عبد الرحمان الثعالبي ووهران بالعالمين المتصوفين محمد الهواري وتلميذه إبراهيم التازي[1].

احتوت كل مدينة عددا من المساجد والمدارس والقصور والمنازل الفاخرة والحمامات والأضرحة والفنادق، إذ تشير الإحصائيات أنّ عدد مدارس تلمسان في نهاية ق9هـ/15م بلغت خمسة على الأقل، وأن عدد مساجدها حوالي 60 مسجدا، كما كان التعليم بكل مستوياته منتشرا في المدارس والمساجد والزوايا، وكانت حلقات الدروس حول كل أستاذ مشهور.

هجرة الأندلسيين كان لها أثر على المجتمع الجزائري من جميع النواحي إذ شهد القرن9هـ/15م أكبر موجة من موجات الهجرة بعد أن اشتدت وطأة الأسبان على بقايا المسلمين بالأندلس، وبعد سقوط غرناطة 1492م تدفقت موجات المهاجرين على شواطئ المغرب الإسلامي وكانت طبقات المهاجرين تختلف من حيث الثروة والثقافة والجاه، فكانت المأساة الإنسانية في الأندلس خيرا على المجتمع المغاربي، من حيث التأثير الثقافي بالخصوص التعليم والموسيقى وكان هناك علماء مختصون في كل فن من الفنون[2].

ثانيا: انتشار الطرقية والاعتقادات الخرافية:

إنّ من أبرز سمات القرن التاسع الهجري هو انتشار الطرقية والاعتقادات الخرافية، إذ تؤكد بعض الأحداث تدهور وانحطاط حالة التصوف في هذه الفترة، باتجاهه نحو ضروب مختلفة من الطقوس والشكليات، وضعف الطاقة العقلية وانتشار الطرقية والاعتقادات الخرافية بسبب الصراع الحاد، الذي نشأ بين المجتهدين والتقليديين، ولاسيما في تلمسان ، وقد أقبل الناس إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة والكشف، وأصبح ينخرط في الزوايا والربط، ويؤمن بالأولياء وكراماتهم، ويتناقل

[1]–نفسه،ص: 45.

[2]–أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص: 48.

خرقهم للعادات وإخبارهم بالمغيبات واحتجابهم عن الأنظار إلى غير ذلك من التصاريف، وهو مأخوذ كأنه قد أصابه مس من الجن، ثم تجده يندفع في زيارة قبور هؤلاء الأولياء وأضرحتهم، ويقيم حلقات الذكر حول قبابهم. ويخبرنا التمبكتي أنّ العامة في تلمسان، كانوا يتزاحمون على الصوفي عبد الرحمان الهزميري، فيمسحون وجوههم بطرف ثوبه تبركا به[1].

وبالتالي ظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف[2]، نتيجة لضعف الدولة أمام الانحلال الداخلي والخطر الخارجي، وقد أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وانتشار الزوايا والأضرحة إلى نتيجتين: تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، ذلك أنَّ نقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه وبطريقة ريفية ضيقة[3]، وبدل التفاف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتقون في الزاوية حول الشيخ أو المقدم، تغلب على عقله الخرافة وعلى أحواله الزهد. ما أدى إلى تدهور مستوى التعليم، كما أنّ المنافسة بين العالم والمرابط أو الجامع والزاوية أجبرت علماء المساجد والمدارس على تبسيط آرائهم وطرقهم في التعليم ومحتويات دروسهم حتى لا يفر الطلبة إلى الزوايا. فالتنافس كان من أجل البحث عن الأتباع وليس من أجل رفع المستوى العلمي، فالتعليم الذي كان يقدم على هذه الأسس لا يترك المجال للاجتهاد وحرية الرأي والبحث وراء المجهول وإعطاء تفسيرات حرة فلسفية لقضايا الدين والعصر[4]. ويعتبر كل من محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الثعالبي من اكبر زهاد وعلماء ق9هـ/ 15م فقد جمعا بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي وكان لذلك تأثير على معاصريهم وعلى اللاحقين منهم، ورغم شهرة كليهما ومكانته، فإن كلا منهما كان يحث على العزلة والهروب من الدنيا وعلومها والاهتمام بعلوم الآخرة والتفرغ لها، ويجد الدارس لحياة كلا منهما نموذجا للعالم الزاهد الذي استعمل علمه لا لنقد أحوال الناس المعاشية

---

[1]– التمبكتي، نيل الابتهاج، ط1، تق، عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989، ج1، ص: 241.

[2]–أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص: 48.

[3]–نفسه،ص: 48.

[4]– نفسه، ص: 49

والتنبيه على نقاط الخطر في المجتمع، بل لدعوة الناس إلى الهروب إلى الآخرة والصبر على ما كانوا يجدونه من ظلم السلطان و سوء الأحوال[1].

كما يسجل موقف عبد الكريم المغيلي من يهود توات الذين اغتنموا الضعف السياسي والاقتصادي فتواطؤا مع بعض الأمراء الضعاف في التدخل في شؤون المسلمين، وهنا جاء تدخل المغيلي مستنجدا بعلماء تلمسان وفاس وتونس باسم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على هدم بيع اليهود في توات.

ثالثا: المراكز الثقافية والمدن العلمية:

عرف المغرب الأوسط (الجزائر) في القرن التاسع الهجري(15م) عدة مراكز ثقافية ومدن علمية، نذكر منها قسنطينة وبجاية وعنابة في الشرق الجزائري، ولقد عرفت الجزائر ظاهرة مميزة في هذه الفترة وهي ظاهرة البيوتات العلمية*، ومن بينها أولاد عبد القادر بن مختار بإقليم الراشدية، وبيت بن زرفة وبيت أولاد احمد بن علي بن شنتوف بمعسكر، وبتلمسان نجد بيت المقري و العقباني، وبيت بن زاغو، ومازونة بيت الكتروسي، وبين ابن الشارف، وبقسنطينة بيت الفكون، وبين ابن باديس، وبيت الكماد، وببلاد زواوة ابن القاضي، وبيت بنو سيد الناس، وبالخنقة ببسكرة بيت سيدي ناجي[2].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ...، ص: 49.

*: البيوتات العلمية: هي البيوتات التي اشتهر أبناؤها بالعلم إلى جانب النفوذ والجاه والثروة، وهي تنقسم إلى بيوتات كبرى وأخرى صغرى، ويمكن تصنيفها حسب دورها ومجال بروزها إلى أصناف عدة سياسية ودينية وصوفية وعلمية، وقد تجمع بعض البيوت بين صنفين أو أكثر.

ينظر:

فوزية، لزغم: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ودورها الثقافي والسياسي، 925- 1246هـ/ 1520-1830م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزئر، 1434-1435هـ/ 2013- 2014م،ص: 37.

[2]- فوزية، لزغم: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ودورها الثقافي والسياسي، 925- 1246هـ/ 1520-1830م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزئر، 1434-1435هـ/ 2013- 2014م،ص، ص: 19،20.

وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال موسى بن عيسى صاحب " ديباجة الاختصار و " حلية المسافر" وابنه يحيى صاحب " الدرر المكنونة" في النوازل، أمّا مدينة الجزائر فقد اشتهرت بزاهدها وعالمها عبد الرحمان الثعالبي وتلميذه يحيى الجزائري، كما اشتهرت مدينة وهران بالعالمين الصوفيين محمد الهواري وتلميذه ابراهيم التازي*[1]، إذ كان كلاهما جوهرها آية[2].

وكانت مدن المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري عامرة بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، قلبج بلغ عدد المدارس بتلمسان في هذه الفترة خمس، وبلغ عدد المساجد حوالي ستين مسجدا، وهذا العدد تقريبا نجده في كل من بجاية وقسنطينة، ومن المساجد نذكر المسجد الجامع، مسجد سيدي أبي الحسن، مسجد سيدي ابي مدين شعيب،أما المدارس نذكر التاشفينية* مدرسة ابني الإمام* ومدرسة الحسن أبركان والمدرسة اليعقوبية [3]، التي أنشأها السلطان أبو حمو الثاني نسبة إلى والده يعقوب يوسف سنة 765هـ، وجلب إليها أشهر المدرسين وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ الشريف التلمساني*، كما أنشأ السلطان أو العباس أحمد العاقل سنة 850هـ، المدرسة الجديدة بتلمسان

---

*- ابراهيم التازي: من أبرز الشخصيات الصوفية والعلمية التي عرفها المغرب الأوسط خلال القرن التاسع عشر هجري/ الخامس عشر ميلادي، هو ابراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي، نزيل وهران، الشيخ أبو سالم ويكنى بأبي اسحاق هو الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الولي الورع الزاهد الصالح الناصح العرف، صاحب الكرامات، والاحوال البديعة العجيبة والقصائد الأنيقة.

ينظر:

ابن مريم المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، تقديم، عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص: 58.

ويرجع أصله إلى قبيلة بني لنت البربرية التي كانت تستوطن منطقة تازا بالمغرب الأقصى، وبسبب ولادته ونشأته بهذه المنطقة اشتهر بالتازي.

[1]- أبو القاسم، سعد الله: ج1، ص: 45.

[2]- ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص: 188.

*: المدرسة التاشفينية: أنشأها السلطان أبي تاشفين الأول بالقرب من الجامع الأعظم، وذلك أمام تزايد عدد الطلبة، وعين أفضل العلماء للتدريس بها منهم العالم الفاضل موسى المشدالي، وأقر للمدرسين والطلبة الجرايات.

ينظر:

التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر العقيان في تبيان شرف بني زيان، تح، محمد آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص:141.

*: أنشأها يوسف بن يعقوب، وهما العالمان الجليلان أبو زيد وأبو موسى، ووضعهما للتدريس فيها ... وبجانبهما دارين لسكنى ابني الإمام، ومساكن للطلبة."

ينظر:

التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر العقيان في تبيان شرف بني زيان، تح، محمد آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص:139.

[3]- الأخضر، عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان، 633-962هـ/ 1236-1554م، رسالة دكتوراه قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2004-2005، ص،ص: 111، 135.

*: **ابو عبد الله الشريف الحسني** ولد بتلمسان سنة 710هـ، ومن أشهر المدرسين والعلماء بتلمسان، حفظ القرآن الكريم ثم أخذ عن الآخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام، والعالم الجليل موسى المشدالي، وغيرهم، وظهرت نجابته في شتى العلوم الدينية والطبيعية، رحل إلى تونس لطلب العلم ولازم ابا عبد

وعين لها الأوقاف والأحباس[1]، كما أنشأ السلطان أبو عنان المريني سنة 754 هـ مدرسة عند ضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي[2]، لتصبح تلمسان بفضل مدارسها الخمس ومسجدها الأعظم، مركزا ثقافيا هاما، وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية[3]. وكانت العلوم التي يتم تدريسها في تلمسان في تلك الفترة تشمل جل العلوم المعروفة في ذلك الوقت وكان إقبال الطلبة كبيرا عي شتى صنوف العلم والمعرفة، ويمكن تصنيف العلوم إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي العلوم الدينية المستندة إلى الشرع، المأخوذة من الكتاب والسنة[4]، والعلوم اللسانية والاجتماعية، ثم العلوم العقلية والطبيعية، حيث اشتهر فيها طبيبان وهما محمد بن علي بن فشوش* وموشى بن صمويل* المعروف بابن الأشقر اليهودي أحد مهاجري الأندلس[5].

رابعا: الهجرة الأندلسية لبلاد المغرب :

الله بن عبد السلام الهواري، ثم عاد إلى فاس، ثم استقر أخيرا بتلمسان في عهد أبي حمو الثاني، الذي بنى له المدرسة العيقوبية، حيث بقي مديرا بها إلى أن توفي بتلمسان عام 771هـ.

ينظر:

ابن مريم، التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص،ص: 117.

[1]- التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر العقيان في تبيان شرف بني زيان، تح، محمد آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص:248، 249.

[2]- بورقيبة رشيد وزملاؤه: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د،ط، ج2، ص: 483.

[3]- عبد الحميد، حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، حياته مساره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986، ص: 160.

[4]-ابن خلدون، عبد الرحمان: المقدمة، تح، مصطفى الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2012، ص،ص: 435،436.

*: **محمد بن علي بن فشوش:** طبيب ومدرس للطب ولد بتلمسان واستقر بها، عاش في القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، يقول الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الذي درس عنده، وأجيز في ذلك: " ولقينا بها – تلمسان- جماعة آخر من الفضلاء والأدباء والأطباء، منهم سيدي علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدربة، وسمعت من فوائدهم، وحضرت دروس بعضهم، ونقلت عنهم أشياء، وأجازوني.

ينظر:

عبد الباسط بن خليل اللمطي: رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، 866-871هـ/ 1462-1467م، جزء من الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تح، عبد السلام التدمري، الجامعة اللبنانية، طرابلس، ص: 42.

*: **موشي بن صامويل:** طبيب يهودي وفد على تلمسان من الأندلس، عرف باسم ابن الأشقر اليهودي، لازم السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت، يقول عنه تلميذه عبد الباسط بن خليل المصري الذي درس عنده الطبيب تلمسان :" لازمت في الطب الرئيس الفاضل الماهر الأدربي الأقدري، موسى بن سمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي، المتطبب... لم أسمع بذمي، ولا رأيت كمثله في مهارته في العلم ..."، ويضيف عنه قائلا:" ولد بمالقة قبل العشرين وثمانمائة، واخذ عن أبيه وغيره، ومهر في صناعة الطب، وانتقل إلى تلمسان فقطنها، وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدة وأخذت عنه نبذة كثيرة في الطب وغيره، وأجازني، وبلغني عنه في هذه الأيام بأنه انتهت إلية الرياسة في الطب بتلمسان. "

ينظر:

عبد الباسط بن خليل اللمطي: نفس المصدر، ص،ص: 42-43.

[5]- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 46.

أثبت المصادر التاريخية هجرة الأندلسيين إلى سواحل بلاد المغرب الاسلامي خلال الفترة 791-910هـ/ 1388- 1504[1]، ليشهد القرن التاسع هجري أكبر موجة من موجات هذه الهجرة، فقد اشتدت وطأة الاسبان على بقايا المسلمين، وفيها سقطت آخر قلعة لهم هناك 1492م، فقد سافر عدد كبير منهم إلى تونس والجزائر والمغرب، إذ قدر عددهم بحوالي مليون نسمة، وهناك من تحدث عن نصف هذا العدد أو ثلثه[2].

كانت هذه الجالية الأندلسية تضم عددا متنوعا من الأدباء والمؤرخين والفقهاء والمحدثين والمسندين، حملوا معهم ما تلقوه في الأندلس، وجاؤوا بالخصوص بفن خاص، وهو ذلك الإنشاء الراقي الذي أعجب به المغاربة، وعدوه من محاسن الأندلسيين' الذين كانوا في الحقيقة عنصر تمدين وحضارة، حيث نقلوا تراثهم الفكري والصناعي إلى بلاد المغرب[3]. استقر أغلب هؤلاء بتلمسان وجزائر بني مزغنة وبجاية وندرومة[4]، وكانت طبقاتهم متنوعة، فضمت البادية والزراعة والمثقفون والجرفيون والتجار وأصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الملاحة والصيد البحري[5]. كما انجرَّ عن تكاثر الأندلسيين بمدينة الجزائر العاصمة تخصيص أماكن أخرى لاستقرارهم غير بعيد عن الجزائر، فقد أقامت أسر أندلسية بزعامة سيدي أحمد الكبير في مدينة البليدة (942هـ/1535م) وأنشأت جماعات المدجنين القادمين من قشتالة وثغور بلنسية مدينة القليعة (957هـ/1550م)، كما طوروا مدينة القل، وساحل الجزائر الشرقي، وجعلوا من مرفأ ثامنتفوست حصنًا وقلعة لحماية الجزائر البيضاء المحروسة، انتقامًا من الأسبان الذين أذاقوهم الأمرين.

---

[1]- اسماعيل، بركات: الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المغيلي المازوني، ج1، دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص: 67.

[2]- عبد الجليل، التميمي: طراجيديا طرد الموريسكيين من الاندلس والمواقف الاسبانية والعربية والإسلامية منها، منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري، 2011، ص،ص: 21 ، 22.

[3]- التميمي، نفس المرجع، ص: 22.

[4]- عبد العزيز، فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص: 176.

[5]- اسماعيل، بركات: نفس المرجع، ص: 68.

ولقد كان تأثير الهجرة الأندلسية على المغرب الأوسط واضحا بالخصوص في المجال الثقافي، ففي ميدان التعليم أضاف الأندلسيون مواد جديدة، منها تعليم الأطفال في الكتاب، رواية الشعر وقوانين اللغة والنحو والحساب إلى جانب القرآن والحديث[1]، أمّ في الميدان الفني، فقد أسس الأندلسيون مدارس فنية وموسيقية واتخذت أسماء محلية لها كمدرسة المالوف في قسنطينة وعنابة وسكيكدة وميلة، وهي المدرسة القادمة من مدينة اشبيلية[2].

وجاءت مدرسة الصنعة من مدينة قرطبة إلى الجزائر والحوزي والغرناطي من مدينة غرناطة إلى تلمسان، وتوزعت على العديد من المدن في بلاد المغرب، وكان الأندلسيون بالجزائر ولعين بنظم الموشحات وتريد المدائح، ففي تلمسان اشتهر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب الأندلسي* بنظم الموشحات وتلحينها، وفي مدينة الجزائر عرف محمد الشاهد الأندلسي العالم والأديب بترديد موشحات بن سهيل ولسان الخطيب وغيرهم[3]. ومن أشهر منظمي الموشحات أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي الجزائري متولي إفتاء المالكية سنة 1180هـ/1766م وصاحب الرحلة الشهيرة "نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب" و"لواء النصر".، وعمر بن سيدي علي الأندلسي، متولي قضاء الحنفية

---

[1]- فيلالي: مرجع سابق،ج2، ص: 346.

[2]-عبد العزيز، فيلالي: اندماج اليهود في الشعر والموسيقى الأندلسية من اشبيلية إلى قسنطينة وموقفهم من الثورة التحريرية، منشورات مؤسسة الإمام عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص: 50.

* : **أحمد بن مسايب الأندلسي: هو أبو عبد الله محمد بن مسايب**، من عائلة اندلسية استوطنت تلمسان وكان ينظم قصائد الغزل إلا أن ضجر الناس وشكوه للحاكم مما عرضه لعقوبة الإعدام حيث أنشد:

يا أهل الله غيثو الملهوف

قبل أن لا يتمرمد فكوه

توفي بين عامي 1768م و 1776م بتلمسان.

حيث رق قلب الحاكم وأطلق سراحه ومنذ ذلك الحين إتجه لنظم قصائد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، من قصائده : يا أهل الله، يا الورشان، بو علام، الحرم يا رسول الله، هاجت بالفكر أشواقي، أعيت وأنا ندمم، لك نشكي، هكذا أراد وقدر، باسم العظيم الدايم، زورة يا عاشقين زورة...

[3]- ناصر الدين، سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 144.

سنة 1163هـ/1750م، وغيرهم من العلماء[1]، وأدخلوا آلات موسيقية أندلسية، وحافظوا عليها مثل العود والرباب، والكامنجة، والصنوج والطبيلة والطارو والدربوكة، وأحيوا المواليد والإخوانيات وقصائد المديح والغزل والتشبيب ووصف الطبيعة والرثاء، وشعر الحرب...، كما تولَّى الأندلسيون الوظائف الشرعية كالقضاء والإمامة والخطابة والنظر في الأحباس والأوقاف واشتهر منهم في مجال القضاء: ابن النيقرو وابن الأمين وابن عمار وابن الكبابطي.

إذ أدَّت الهجرات الأندلسية المتتابعة نحو مدينة الجزائر وحدها إلى ارتفاع عدد السكان من 25 ألف سنة 1518م إلى 70 ألف سنة 1580، ليرتفع إلى ما بين 100 ألف و120 ألف نسمة عام 1634م حسبما يستنتج من المصادر المعاصرة، بحيث أصبح الأندلسيون يشكلون ربع سكان مدينة الجزائر في بداية القرن الحادي عشر الهجري، مستهل القرن السابع عشر الميلادي، فقد قدر الراهب الإسباني هايدو (Haèdo)عددهم عام 1609م بما لا يقل عن 25.000 نسمة وهذا ما اضطر حكام الجزائر إلى تحويل قسم منهم إلى الأرياف المجاورة كما حدث عام 1512م.

كما تميزت الطائفة الأندلسية بلهجتها العربية التي كانت شائعة بغرناطة وحواضر الأندلس الأخرى، وقد تأثر بهم جماعة الحضر بالمدن الكبرى كتلمسان والجزائر وبجاية، نظرا لرقة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها، ولغناها بالمفردات والعبارات الرقيقة، وبذلك ساعد الأندلسيون بلهجتهم الخاصة على انتشار واستعمال العربية في المناطق التي ظلت حتى قدومهم تستعمل اللهجة البربرية، مثل نواحي شرشال ودلس وتنس وأرزيو وبجاية[2].

[1]– ناصر الدين، سعيدوني، صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشرة، العدد السابع والعشرون، عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994م ص:239.

[2]-ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 145.

المحاضرة الثالثة:

ب- العلماء والأمراء: في الجزائر (المغرب الأوسط) خلال القرن التاسع هجرية الخامس عشر ميلادي:

يمكن أن نصف العلماء وعلاقتهم بالحكام والسلاطين في فترة القرن التاسع هجري (15م)، إلى ثلاث أقسام: فالقسم الأول اختار الابتعاد عن الأمراء وعدم الاتصال بهم بل الهجرة من دار السلطان إذا اقتضى الأمر، والقسم الثاني اختار التقرب من الحكام، وذلك بمدحهم والثناء عليهم، طمعا في المال أو الجاه، والقسم الثالث اختار حياة العزلة والابتعاد رعن الأمراء واللجوء إلى الزهد والتصوف.

ذكر أحمد بن يحي الونشريسي* في المعيار أنّ القاضي محمد المقري أستاذ ابن خلدون" أنّ شر العلماء علماء السلاطين" ، حيث اشتهر الونشريسي بالشدة في الدين لذلك لم يكن له مع أمراء وقته اتصال كبير، رغم إلحاحهم عليه ودعوتهم له[1]." أدى موقفه إلى التصادم مع سلطان تلمسان " أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي" ، فانتهت داره وتعرض لمضايقات كثيرة ومن أجل ذلك توجه مع أسرته وعلمه إلى فاس سنة 874هـ/ 1469م.

أما المغيلي والحوضي فاختار التقرب من الأمراء فالأول كان ناقما عن الانحلال الداخلي والغارات الأجنبية، وكان قد عاصر هجرة مسلمي الأندلس وسقوط غرناطة فكان موقفه موقف الناقد الناقم، بعد أن لاحظ خروج الأمراء عن الامور الاسلامية، وانشغالهم بحياة اللهو، وانغماسهم في الملذات، فضاقت نفسه وقرر الهجرة، فغادر تلمسان التي كانت تعرف أحوالا مضطربة، وذلك بسبب ظلم

---

*: نسبة إلى الونشريس إذ يكاد يجمع اغلب من ترجم له خصوصا أنه صرح بنفسه في مقدمة كتابه الفائق وذهب ابن القاضي في جذوة الاقتباس والبغذاذي في هداية العارفين والناصري في الاستقصاء وكحالة في معجم المؤلفين إلى أنّه تلمساني الأصل.

ينظر:

لامية، زكري: من أعلام تلمسان أبو العباس أحمد الونشريسي، 834هـ- 914هـ/ 1430م-1508م، سيرة ومسيرة، مجلة عصور جديدة، العدد 10، جويلية 2013، ص: 61.

[1] أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 57.

حكامها وفساد اليهود، ومما زاد من ألم ووجع المغيلي هو ضعف الحكام وعدم قدرتهم على تغيير المنكر[1].

ونتيجة الفساد السياسي الذي كان يسود البلاد، لان عرش بني زيان أصبح معروفا بانحلاله الأخلاقي[2]، لذلك اختار الشيخ المغيلي الهجرة إلى بلاد توات بالجنوب الغربي الجزائري، حيث واصل اليها في حدود عام844هـ- 1479م. ومن الصنف الثاني نذكر أبو عبد الله محمد التنسي، الذي مدح السلطان الزياني محمد المتوكل، وألف كتابا يمدح فيه الاخير على وجه الخصوص وبني زيان على وجه العموم، سماه " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان"، والهدف من كتابه التقرب من الامير المتوكل باظهار مكانة بني زيان في التاريخ وفي النسب والآثار، ولذلك مدح الأمير وبرهن على شرف أسلافه وأبرز مدى مساهمتهم في الحضارة ونفوذ دولتهم مبتدئ بتاريخ إنشائها، ومنتهيا بالأمير الممدوح[3]".

أما محمد بن عبد الرحمان الحوضي الاصولي فقد كان شاعرا فيقها ينشد المال والجاه والحظوة لدى السلطان ابا عبد الله الزياني السابع بن أبي ثابت الثاني بقصيدة مطلعها:

أصبح المزن من عطائك يحكي... يوم الاثنين للأنام عطاء[4]، وعلى غراره نجد ابن القنفد في الفاسية التي أهداها إلى السلطان الحفصي ...[5].

أمّا الصنف الثالث فنذكر عبد الرحمان الثعالبي في مدينة الجزائر، الذي درس أحوال العصر، وتنقل بين عواصم العالم الإسلامي، ونهل من علوم وقته، ومع ذلك نجده كان امام عدة حلول، ان

---

[1]– عبد الله مقلاتي و محفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص: 74.

[2]– يحي، بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 64.

[3]– بوعيني، سهام: أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدرةالعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الاعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، ماجستير، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2009، ص: 66.

[4]– ابن مريم، البستان، ص: 199.

[5]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 59

يعلن الثورة على الأوضاع كما فعل المغيلي أو أن يعتزل الناس جميعا، ليختار الحل الأخير، وكثير من تلاميذته الذين اختاروا طريقه ومنه تلميذه محمد بن يوسف السنوسي واحمد بن عبد الله الجزائري[1].

[1]- سعد الله، نفسه، ص: 57

المحاضرة الرابعة :

اللغة والأدب العربي في الجزائر(المغرب الأوسط) خلال القرن 9هـ/ 15م:

عرفت الجزائر في القرن 9هـ/15م أسماء بارزة في ميدان اللغة العربية:

كان الشعر وفيرا في جزائر القرن 9هـ/15م ومن بين الشعراء المتميزين نذكر الشاعر الحوضي* شاعر بلاط الزيانيين، والذي كتب في شتى الأغراض، كالرثاء والتصوف والغزل والمدح منه رثاؤه لإمام أهل التوحيد، الإمام محمد يوسف السنوسي* في قصيدة يقول مطلعها:

---

*: هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن أحمد بن علي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالحوضي، من كبار فقهاء المالكية، ، أصولي، متكلم، ناظم، من شعراء تلمسان، ولد ونشأ بها، وأخذ عن أشياخها، حيث أخذ العلامة محمد بن عبد الرحمن الحوضي عن ثلة من علماء تلمسان في وقته، نذكر منهم: الإمام التوحيدي أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(ت-895هـ)، صاحب العقائد.

*: **محمد بن يوسف السنوسي:** هو أبو عبد الله بن عمر بن شعيب السنوسي الحسيني، والسنوسي نسبة إلى القبيلة المعروفة بالمغرب، أما الحسيني فنسبة إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من جهة أبيه لجدته، تذكر أغلب المراجع الحديثة أنه ولد سنة 832هـ/ 1428م.

ينظر:

محمد بن يوسف السنوسي: شرح المختصر في المنطق، تح، سعيد عينوان، دار الكتاب العلمية، ص: 45.

نشأ السنوسي في أسرة علم ودين فقد كان أبوه معلما للقرآن وكان رجلا صالحا ورعا زاهدا، لقد نشا السنوسي منعزلا عن امور الدنيا ومع هذا فلم يكن والده يعاتبه على ذلك وقد اشتهر بالصلاح وكثرة الحياء والصمت والتصدق على الفقراء والمساكين.

ينظر:

سعيد، عليوان: محمد بن يوسف السنوسي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2009، ص: 47.

بدأ دراسته مبكرا تتلمذ على يد والده أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، بالاضافة إلى أبو الحسن علي بن محمد الثاللوتي الأنصاري وهو أخو محمد السنوسي لأمه، أما الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن قاسم بن تومرت الصنهاجي فقد قال عنه السنوسي: " كان سيدي محمد بن تومرت شخصا صالحا عالما بعلوم المنقول والنجم والحساب والفرائض والخط والهندسة وفي كل علم ما رأيته قط نظر في كتاب إلا ناذرا.

إلى جانب العديد من الشيوخ منهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي القلصادي و أبو العباس يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب والحسن بن مخلوف بن مسعود الزلي الراشيدي وأبو زيد عبد الرحمان الثعالبي وغيرهم..."

ينظر:

محمد بن يوسف السنوسي: أم البراهين، تح، خالد زهري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ، 2009، ص: 500.

من تلامذته الامام ابن صعد، بلقاسم بن محمد الزواوي، ابن ابي مدين، يحي بن محمد أبو السادات المديوني التلمساني، أبو الحاج البيدري، الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن العباس التلمساني، .

من مؤلفاته: العقيدة الكبرى، شروح العقيدة الصغرى، العقيدة الوسطى، العقيدة الصغرى وشرح العقيدة الصغرى، المقدمات، شرح المقدمات، شرح أسماء الله الحسنى، المنهج السديد في كفاية المريد...

ينظر:

محمد بن يوسف السنوسي: أم البراهين، تح، خالد زهري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ، 2009، ص: 133، 138.

ولما أحس السنوسي بمرض موته انقطع عن المسجد ولازم الفراش واستمر على ذلك 10 أيام، ليتوفى يوم الأحد 18 جمادى الثانية 895هـ/ 1490، وقد رثاه الإمام محمد بن عبد الرحمان الحوضي وهي من عيون الشعر العربي قال فيها :

ما للمنازل والأرض ... أتى عليها وتراكمت
رزء عظيم ... لم ندر يا للقوم.
وفي قصيدة أخرى :
أحيا الإله به ... تحيا لابقاع جميع.
حياته الزهد ... وقوته الذكر.
كأنها رمضان ... وليلة القدر.

ما لمنازل أظنت أرجاؤها ... والأرض رجت خاب رجاؤها.

وأني عليها النقض من أطرافها ... وتراكمت وتعاطلت أزوارها.

فقد السنوسي الإمام محمد ... وهو ابن يوسف هذا منها خلاؤها[1].

وخلف الحوضي مصنفات منها :نظم في العقائد وهي عقيدة صغيرة سماها (واسطة السلوك في بيان كيفية السلوك)، وقد شرح هذه المنظومة العقدية شيخه الإمام أبو عبد الله السنوسي، ومنظومة (واسطة السلوك المبينة كيفية السلوك)، تبدأ بقوله رحمه الله:

الحمد لله الذي دل عليه إيجادنا ثم افتقارنا إليه
وبعد فالتوحيد أشرف العلوم وهو أساسها الذي به تقوم.
وتنتهي بقوله:

محمد المحمود خير الحامدين ****** والمجتبى حب رب العالمين
عليه أفضل الصلاة والسلام***** ما انصدع الفجر حنادس الظلام.

و نظم الأجرومية في رجز سماه (مفتاح باب النحو)، تخميس القصيدة المسماة بالبردة، إلى غير ذلك من القصائد والمنظومات .

و الشاعر أحمد بن محمد الخلوف 829هـ،-1425م/899هـ- 1494م، له ديوان من جزئين، الجزء الأول حققه هشام بوقمرة سنة 1987 كما ورد في مقدمة الديوان، والثاني حققه العربي دحو سنة2004 ، وهذا الأخير عنوانه هو «جني الجنتين في مدح خير الفرقتين» والمعروف بديوان الإسلام، وهو ديوان شعري خاص بمدح الحضرة النبوية والمدح السياسي، وكان ملازما للسلطان الحفصي أبي عمرو عثمان، فجمع بين النثر والشعر حتى لقب بذوي الصناعتين[2]. من أعماله: قصيدة لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ديوان الخلوف، القصيدة الخلوفية في مدح خير البرية، بسط العقود في مدح سر الوجود، نظم كتاب مغني اللبيب لابن هشام النحوي، نظم التلخيص في البلاغة، جامع الأقوال في صيغ الأفعال، تحرير الميزان لتصحيح الأوزان، عمدة الفارض، مواهب البديع في علم البديع حققته الباحثة (حورية رواق)

---

[1]- مختار، حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص: 205.
[2]-سعد الله، أبو القاسم: نفسه،ص: 79.

بإشراف الدكتور العربي دحو، شرح مواهب البديع. تُوفي سنة 899 هـ الموافق لـ1494 م بتونس، ودُفن في مقبرة العائلة الحفصية بـ سيدي محرز.

الملاحظ أن الشعر خلال هذه الفترة طغت عليه روح التصوف وكانت تسمى القصيدة بالمنظومة والتي تختص في موضوع ديني أو صوفي أو رثاء أو تصوف ... وهنا تدخل قصيدة إبراهيم التازي " المرادية " والسينية لابن باديس ومنظومة المراصد لابن زكري[1].

وألف ابن صعد التلمساني المتوفي بالديار المصرية سنة 901هـ، نظم في الشعر (مديح نبوي) تحت عنوان " مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[2]، كما ألف الإمام أبو عبد الله التنسي كتابا سماه راح الأرواح[3]. ولقد ورد تعريف لابن صعد عند ابن مريم التلمساني (البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان)، وأحمد بابا التمبكتي في نيل الابتهاج بتطريز الديباج، والحفناوي أبو القاسم محمد في تعريف الخلف لرجال السلف القسم الأول، حيث جاء في ترجمته ما يلي:" من أكابر علمائها الفقيه العالم العلامة المحصل مؤلف النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، وتأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وروضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين وهم الهواري وابراهيم التازي والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري، وفيه يقول محمد العربي الغرناطي أحد فضلاء الأندلس:

إذا جئت لتلمسان ... فقل لصنديدها ابن صعد.

علمك فاق كل علم ... مجدك فاق كل مجد

أخذ ابن صعد عن جماعة منهم الإمام خاتمة العلماء سيدي محمد بن العباس والحافظ التنسي والإمام السنوسي، وتوفي بالديار المصرية في رجب سنة 901هـ إحدى وتسعمائة رحمه الله"[4] .

---

[1]-أبو القاسم، سعد الله : نفسه،ص: 82.

[2]-الطاهر، منزل: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، لابن صعد التلمساني 901هـ/1496، تح، ج2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2012، ص:47.

[3]- بوعيني، مرجع سابق، ص: 25.

[4]- أبو القاسم، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الأول، ط2، تونس، المكتبة العتيقة، 1985، ص: 151.

أمَّا النثر فقد ظل يشع من وقت لآخر فتجسد في المقدمات السجعية وفي الإجازات والرسائل الإخوانية التي كانوا يتبادلونها و الرسائل السلطانية... وغيرها، ومن ذلك ما تركه أحمد بن أبي حجلة التلمساني وأحمد النقاوسي، والعمل الأدبي الذي ألفه ابن صعد التلمساني وسماه رسالة الغريب إلى الحبيب، وهو خطاب موجه منه لما كان بالمدينة المنورة إلى صديقه محمد المشدالي البجائي، الذي كان مقيما بالقاهرة[1]، والرسالة التي كتبها عبد الرحمان الثعالبي إلى بعض تلاميذته ومريديه في الجهاد، وهي رسالة بسيطة لعبارة ومرسلة، وقد تحدث فيها عن موضوع هام كان موضوع الساعة في المغرب والأندلس، ألا وهو موضوع جهاد الصليبيين، أو بني الأصفر كما كان يسميهم[2].

وقد ضعف الإنتاج اللغوي كالدراسات النحوية والقاموسية ، وكاد يقتصر على التعاليق السطحية في النحو والصرف، ومن ذلك كتاب ألفية ابن مالك لابن قنفذ القسنطيني، وله كتاب سماه الابراهيمية في مبادئ العربية، وهو مختصر في قواعد النحو والصرف، أهداه إلى بعض الأمراء الحفصيين المعاصرين له[3],

ومن الذين اهتموا بالدراسات النحوية البلاغية أبو جميل زيان بن فائد الزواوي و المعروف أيضًا باسم **سيدي بوسحاقي 796هـ-1394م/ 857هـ-1453م** ، ومعاصره عبد الرحمن الثعالبي ولاحقه ، . ومن نظمه أرجوزة في النحو بلغت مائة وخمسة أبيات، قصد بها كما قال إفادة الناشئة، إذا الغالب أنه هو الذي صنع عليها شرحا أيضا، كما انه قد شرح ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح[4]، إذ يعتبر أشهر من اهتم بالدراسات النحوية في منطقة زواوة بعد يحي بن معطي الزواوي صاحب الدرة الألفية في علم العربية[5].

---

[1]-أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 84.
[2]-أبو القاسم، سعد الله: أبحاء وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص،ص: 208.
[3]- ابن القنفذ: مصدر سابق، ص،ص: 79.
[4]- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 87.
[5]-ابو القاسم، سعد الله: نفسه،ص: 87.

من مصنفات أبو إسحاق إبراهيم بن فايد: تفسير بوسحاقي للقرآن الكريم، نظم قواعد الإعراب لابن هشام شرح قطر الندى في مجلد، تلخيص كتاب» تلخيص المفتاح «من تأليف جلال الدين القزويني في مجلد أيضاً وسماه» تلخيص التلخيص، وضع على المختصر ثلاثة شروح، ينقل فيها عن فطاحل علماء المذهب كابن عبد السلام وخليل وابن عرفة وغيرهم وهي:

مختصر الشيخ خليل في ثمان مجلدات، وقيل ثلاث مجلدات، في الفقه المالكي سماه": تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل «في مختصر الشيخ خليل بن إسحاق، وذكره القرافي باسم " تسهيل السبيل في شرح مختصر خليل" . قال التنبكتي: " وقفت على السفر الثالث من شرحه تسهيل السبيل من القسمة لآخره، حسن من جهة النقول يعتمد فيها ابن عبد السلام والتوضيح وابن عرفة وغيرهم، وفي آخره جامع كبير لخصّه من البيان وغيره، قال الشيخ عبد الرحمان الجيلالي عقب سرده لمقولة صاحب النيل: " يوجد الجزء الأول منه اليوم بالزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى مبتور الأخير، مختصر الشيخ خليل في مجلدين سماه : فيض النيل في شرح مختصر خليل: وهو شرح في مجلدين، تم في سنة 855هـ. تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق": جاء في نيل الابتهاج بتطريز الديباج" : ورأيت في خزانة جامع الشرفاء) جامع المواسين (بمراكش السفر الأول من شرحه آخر على خليل قدر الثلث إلى الجهاد سماه (تحفة المشتاق في شرح خليل بن إسحاق)، في مجلد ضخم، حاشية "الشامل في الفقه" من تأليف "بهرام بن عبد الله الدميري، وشروح العلامة معتمدة عند أهل التحقيق، قال النابغة في نظمه:

«واعتمدوا المتيطى والزواوي *** كذا ابن سهل عند كل زاوي»

2. علم الكلام والفسلفة:

أ- العلوم والمنطق:

إنتاج الجزائريون قليل في العلوم الرياضية والطبية فلم يكن هناك أطباء بارزون، فبعض الأسماء التصقت بها مهنة الطب كابن فشوش وأسماء ارتبطت بعلم الحساب والفرائض والفلك كابن الحباك وابن القنفد.

ألف ابراهيم ابن الثغري التلمساني معجما صغيرا في الطب رتبه حسب حروف المعجم وهو عبارة عن قائمة بأسماء الأعشاب بما كان يتداوى به العرب، ومعلومات عن الأدوية المشاعة لدى الناس في عصره، قفالثغري لم يكن طبيا وإنما كان متطببا. كما اشتهر أبو الفضل محمد المشدالي بالطب الذي درسه في تلمسان فأصبح واحد عصره وفريد دهره، وكان الناس يلجاؤون اليه طلبا للدواء[1].

[1]-نفسه،ص:113.

إلى جانب محمد بن يوسف السنوسي الذي ربط بين الطب والدين معتمدا على الحديث النبوي العلم علمان " علم الأديان وعلم الأبدان"، ذلك أنّ موضوع الطب الذي عالجه من الأحاديث الشريفة، فالف رسالة صغير اعتمد فيها على شرح مجموعة من الاحاديث مثل " المعدة بيت الدواء."

كما ساهم الجزائريون في علوم أخرى كالحساب ومن هؤلاء ابن القنفذ الذي ألف رسالة صغيرة سماها " حط النقاب" ثم اختصره وسماه " التلخيص في شرح التلخيص"، إلى جانب أحمد بن يونس الذي اشتهر بتدريسه. كما ساهم الجزائريون في علم الفلك والمواقيت إذ ألف ابن القنفذ شرحا على أرجوزة ابن أبي الرجال في الفلك والتنجيم رفعه إلى أحد الوزراء المرينيين لاهتمام هذا الوزير بالعلوم العقلية. كما ألف ابو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي المعروف بالحباك، ألف منظومة بعنوان " بغية الطلاب في علم الاسطرلاب" حيث أصبح شيخ الحسابين والفرضيين والفلكيين الجزائريين[1].

ومن العلوم التي ألفوا فيها ودرسوا بها خلال القرن 9هـ/15م علم المنطق وقد نسب إلى احمد بن يونس القسنطيني، كما ألف المشدالي شرحا على جمل الخونجي[*] في المنطق، يذكر أنه أخذه عند

---

[1]–نفسه،ص: 118

[*]–الخونجي 590هـ–646هـ/1194م–1248م، فارسي الأصل وهو محمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي أو عبد الله أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق وله كتاب الجمل في المنطق.

أنظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمشرقيين،ج7، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 2002،ص: 154.

ومن الشروح الجزائرية عليه نذكر:

نهاية الامل في شرح كتاب الجمل لأبي عبد الله مرزوق الحفيد، رجز جمل الخونجي لأبي جعفر أحمد بن عبد الرحمان المعروف بابن الأستار الندرومي التلمساني، تلخيص العمل في شرح الجمل للخونجي لأبي العباس أحمد بن حسن الشهير بابن القنفذ القسنطيني، شرح الجمل في المنطق لمحمد بن عبد الكريم بم محمد المغيلي، شرح جمل الخونجي لأبي الشريف التلمساني، شرح جمل الخونجي لأبي عثمان سعيد العقباني.

ينظر:

بلخير، عمراني: علم المنطق في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، العدد7، 2020،ص: 200.

حلوله بالقدس* و الذي كان على إطلاع واسع به، ومن الذين كتبوا في المنطق محمد بن يوسف السنوسي الذي عرف بكتابه " المختصر" وألف ابن القنفذ " إيضاح المعاني" و " تلخيص العمل" وللمغلي " شرح الجمل".

ولقد برعت المدرسة التلمسانية في المنطق وخرجت الكثير من العلماء الذين تمكنوا من تدريسه بعد تعدوه إلى التأليف والتصنيف.

ب- القراءات وتفسير العلوم الشرعية:

ومن العلوم القراءات التي تناولها الجزائريون بقلة منهم محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مؤرخ بني زيان ألف كتابا سماه " الطراز في شرح الخراز" ووضع بن أحمد المصمودي رجزا في القراءات سماه " المنحة المحكية للمبتدئ القراءة المكية"، أما عن التأليف في علوم الحديث لم تتقدم تقدم الدراسات الفقهية ومن العلماء الذين تركوا فهارس بالعلوم التي قرأوها نذكر أحمد الونشريسي ومحمد الغربي القسنطيني وعبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، ومن المحدثين اشتهر التنسي والثعالبي في القرن 9هـ/ 15م. في حين ضعفت العناية بالتفسير فكان العلماء يتناولونه في مجالسهم ودروسهم ولكن قلما ألفوا فيه، ومن التفسيرات تفسير عبد الرحمان الثعالبي " الجواهر الحسان" وينسب للمغيلي تفسير " البدر المنير في علم التفسير".

أما بالنسبة للدراسات الفقهية أصبح الاهتمام منصبا على الفروع بدل الأصول، حيث ابتعد الدارسين عن الفقه ودخلوا حظيرة التصوف والزهد، ومن الكتب التي سارت في ركب الفروع الفقهية

---

*-يذكر ابن أبي عذبية عن المشدالي أنه :" الإمام العلامة أوحد أهل زمانه قدم علينا القدس سنة سبع وأربعين، فأقرأ العضد، وكتب المنطق والمعقولات، وشهد له الأئمة ببلدنا، وبدمشق، ومصر، وطرابلس، أنه أوحد أهل الأرض، وأنه عديم النظير في جنس بني آدام، وأنني عاجز الآن عن عبارة أصفه بها فإن كل عبارة فوقها. "

ينظر:

السخاوي، محمد عبد الرحمان بن محمد شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت ، لبنان، 1992،ص: 181.

كتب النوازل وقد اشتهر مولفان وهما : يحي المازوني واحمد الونشريسي، فقد شكل الأخير الجسر الذي عبرت به هذه الدراسات إلى العهد العثماني من خلال كتاب " المعيار" بما احتوى عليه من فتاوي أهل الأندلس والمغرب وتونس والجزائر ويعتبر موسوعة حية للفقه المالكي في المغرب العربي[1].

3. المؤسسات الثقافية:

أ- الأوقاف:

الوقف لغة: الوقف بفتح الواو وسكون القاف، مصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه. وتجمع على أوقاف ووقوف[2]، وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة.

أما اصطلاحاً: فقد ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف، إلا أن أشمل تعريف للوقف هو:" تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة " [3]، فقوله : (**تحبيس**) من الحبس بمعنى المنع ، ويقصد به إمساك العين ومنع تملكها بأي سبب من أسباب التمليك[4]. وقوله (**الأصل**) أي العين الموقوفة.

كان الوقف بالنسبة للدولة العثمانية في الجزائر بمثابة وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية، إذ تكور بالخصوص في العهد العثماني في الجزائر لاعتبارات سياسية واقتصادية، فللوقف وثيقة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه، وللوقف نظام داخلي دقيق فالوكيل هو المشرف الرئيسي عليه والباشا أو الباي في الأقاليم هو الذي يعين الوكيل بناء على مواصفات كالأخلاق والنزاهة والسمعة الطيبة، وإذا كان الوقف في عائلة ولي صالح فتظل الوكالة وراثية، وقد يكون الوقف تحت إدارة جماعية كأوقاف مكة والمدينة وسبل الخيرات والأندلس والأشراف.

---

[1]- أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 123.

2- ابن منظور : لسان العرب 9، ص،ص: 359-360 ، ومحمد رواس قلعجي : معجم لغة الفقهاء ص: 508 .

3- الزركشي : شرح مختصر الخرقي 4 ص: 268 ، ود. نزيه حماد : معجم المصطلحات الاقتصادية ص: 353 .

4- البهوتي : كشاف القناع 2، ص: 489 .

وانواع الوقف كثيرة فهناك من كان يوقف عقارا أو دكانا أو دارا ... وبعضهم كان يوقف بئرا لابناء السبيل ومن يوقف غلة حقل من الحقول أو غلة من الأشجار ...[1]، ويستعمل في أغراض كثيرة كالعناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء واليتامي وأبناء السبيل، ومن اهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة... والعناية بالفقراء كفقراء الأندلس وفقراء الأشراف أو بطلبة خصوصيين أو فقراء المدية أو العناية بمذهب.

كان للوقف أهمية في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية إذ لعب دورا في تضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة، كما ظهر تضامن فئات معينة كالأشراف وأهل الأندلس، كما كان الوقف يلعب دورا في التأثير الديني والسياسي خراج الحدود كإرسال النقود إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج.

والواقفون في الجزائر لا حصر لهم بجنس أو طبقة أو مذهب، وفيهم الرجال والنساء والعثمانيين والحضر والأحناف والمالكية، كان ينحصر الوقف في طبقات الأغنياء ومتوسطي الحال، وكان الوازع وراء الوقف هو الخير والحماس للدين والعلم وإصلاح المجتمع وأحيانا كان الوازع السمعة والرغبة في الخلود والذكر الحسن في الحياة أو بعد الممات، وكان الوازع أحيانا ماديا و دنيويا كإبعاد الثروة عن الورثة أو الاحتفاظ بها تحت اسم الوقف حتى لاتؤول إلى الدولة التي كانت تستولي على الأملاك التي لا ورثة لها و تضعها تحت إشراف بيت المال[2].

فلا يكاد يوجد باشا في الحكم لمدة طويلة نسبيا إلاّ وقد بنى جامعا او مسجدا أو كتّابا أو زاوية أو وقف الأوقاف على ما بناه، وزمن أقدم الواقفين العثمانيين في الجزائر خير الدين بربروس وخادمه الذي اعتقه وهو عبد الله صفر، إلى جانب الباشوات مثل محمد بن بكير والحاج محمد بن محمود ومحمد بكداش... على أنّ معظم الأوقاف الرسمية كانت تذهب إلى الزوايا والجوامع القائمة مثل الجامع الكبير بالعاصمة وضريح عبد الرحمان الثعالبي.

---

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه،ص: 230.

[2]–نفسه،ص: 232.

ومن أشهر المؤسسات الوقفية الجماعية :

- ✓ إدارة سبل الخيرات الحنفية: من أبرز ما قامت به اشاؤها للجامع الجديد أو الحنفي (جامع الصيد البحري)، وجامع كتشاوة وبتشين وباب الجزيرة وزاوية شيخ البلاد. كانت كانت المؤسسة مكلفة بدفع مرتبات حوالي 88 طالب كما كانت تقدم الصدقات للفقراء وترعى حاجة المساجد التسعة التابعة لها.
- ✓ إدارة أوقاف مكة والمدينة: تعود إلى ما قبل العهد العثماني وتدار من قبل مجلس، وكانت تدير بعض الأوقاف المحلية للمالكية أو الحنفية وهي الأوقاف التي يؤول فائضها إلى فقراء المدينتين الشريفتين، ولها اهمية سياسية كونها تمثل وجه الجزائريين في العالم الإسلامي، وكان ركب الحج يحمل كل عام كمية هائلة من النقود والذهب والفضة والألبسة وغيرها إلى فقراء مكة والمدينة وخدام الحرمين الشريفين، وكانت عواصم الأقاليم من أشهر من حمل صدقة مكة والمدينة من قسنطينة بعد عبد الكريم الفكون، القاضي أحمد العباسي.
- ✓ مؤسسة أوقاف الأندلسيين: استقر الأندلسيون في المدن الساحلية ومارس بعضهم التجارة والتعليم والصنائع المختلفة فأسسوا بتشجيع من السلطة عدّة مؤسسات خيرية زمنها الجمعية الأندلسية، أشرفت على إقامة مسجد وزاوية ومدرسة خاصة بهم، كانت مكونة من ست أشخاص كلهم من مهاجري الأندلس اشتروا دار كبيرة وحولوها إلى مدرسة ومسجد، وأوقف أغنياؤهم على ذلك الأوقاف التي بلغت 60 مؤسسة وقف، وعين لذلك وكيلا هو الشيخ محمد الآبلي.
- ✓ أوقاف الأشراف: كان لها وكيل خاص بهم وقد بنى لهم محمد بكداش سنة 1121هـ/ 1709م زاوية خاصة بهم. تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي اسسوها في حياتهم ، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، وكانت فوائضها تعود إلى فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه

المؤسسات تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت احباسها 72 عقارا، وقدرت مداخيلها بحوالي 6000 فرنك فرنسي عام 1937.

- ✓ **مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم : وهي من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والاجتماعية الدينية، ولقد كانت أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا كانت تشتمل على المنازل والحوانيت والضيعات وغيرها، ويعود التصرف فيها للمفتي المالكي الذي يوكل أمر تسيير شؤونها إلى الوكيل العام الذي يعاضده وكيلان وكانت تصرف عوائد أوقاف الجامع الأعظم على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات.**
- ✓ مؤسسة بيت المال: كان يشرف عليها البيت المالجي تشرف وترعى جميع اموال اليتامى والغائبيين والأملاك التي تصادرها الدولة والتركات... وكانت تقوم بأعمال خيرية وإنسانية واجتماعية كدفن الفقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على حوالي 200 فقير كل يوم خميس، وتقديم الهدايا في كل عيد للباشا وحاشيته وخدمه وصيانة الأملاك الواقعة تحت مسؤولياتها، كما كانت تدفع شهريا مبالغ مالية معينة إلى خزانة الدولة[1].

ب- المساجد والزوايا:

ب.1- المساجد: الجامع اصطلاحا اكبر من المسجد وبعض الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم، كما أنّ الجوامع والمساجد تنسب إلى مؤسسيها السياسيين والتجار والعسكريين أو إلى الأحياء الواقعة فيها مثل جامع باب الجزيرة وجامع سوق اللوح وجامع الغزل بقسنطينة، أو صنعة أهل الحي مثل جامع الخياطين وجامع حي الرمان بتلمسان. كما اعتبرت أماكن للعبادة ونشر العلم فأغلب المدن الجزائرية كانت تشمل مسجداً يطلق عليه اسم الجامع الكبير أو المسجد العتيق أو القديم وبذلك يكون موضع اهتمام الحكام وهدف المحسنين لوقف الأوقاف عليه، وكثيرا ما يكون هو المصلى لحاكم البلاد. ورغم شهرة الجامع

[1]-أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص،ص: 242،243.

الكبير بالعاصمة وضخامة أوقافه لم يتطور إلى جامعة علمية كالأزهر والزيتونة أو القرويين وظلت شهرته منحصرة في قدمه حيث يعود إلى ما قبل العهود العثمانية، وكان المركز الذي ينعقد فيه مجلس الفتوى كل أسبوع من يوم الخميس، كما انّه مقر مفتي المذهب المالكي، ومن أشهر العائلات التي تولت الفتوى المالكية به عائلة قدورة وابن جعدون وابن الشاهد وابن الأمين وابن نيكرو. كما كان الجامع الجديد بالعاصمة مقرا للمفتي الحنفي الذي كان فيه مقام شيخ الإسلام في اسطنبول ومن أشهر العائلات التي تولت الفتوى الحنفية عائلة ابن العنابي، وجامع الباي محمد الكبير بمعسكر، الذي أضاف إليه مدرسة وأوقف عليه أوقافا كثيرة بما في ذلك خزانة كتب وحمام وحدائق ودورا وحوانيت...

كانت الجوامع والمساجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية فلا نكاد نجد قرية أو حي في المدينة بدون مسجد، وكانت تنتشر حوله المساكن والأسواق والكتاتيب، إذ لم تكن الدولة مسؤولة عن بنائها. وتختلف الجوامع في حجم الموظفين فبعضها كان كثير الموظفين حتى انّ عددهم تجاوز الستين موظفا في الجامع الكبير بالعاصمة ولكل واحد مرتب خاص حسب قدره ومكانته وعلمه من الوقف.

ب.2- الزوايا: أبرز ما ميز العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية والزوايا، فكل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من أولياء الله فهناك صلحاء تلمسان والجزائر وقسنطينة وبجاية ... وقد ذكر ابن مريم الكثير من صلحاء واولياء تلمسان وذكر محمد بن سليمان قائمة أخرى من الصلحاء في كتابه "كعبة الطائفين" شملت المدن الأخرى، فمجينة الجزائر كانت تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء والصالحين منها زاوية وضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الولي دادة وزاوية عبد القادر الجيلالي، وفي نواحي الجزائر كانت زاوية القليعة وزاوية البركاني قرب شرشال، اذ كان بمدينة الجزائر عام 1246 هـ/ 1830م 32 قبة و 12 زاوية. وفي مدينة قسنطينة بلغت الإحصائيات 16 زاوية منها زوايا وخلوات سيدي الكتاني وسيدي عبد المؤمن وسيدي مسيد وسيدي مخلوف وسيدي راشد ... كما كان للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل زاوية اولاد الفكون ...

وزوايا خاصة بالأتراك مثل زاوية رضوان خوجة قائد الدار والذي بناه لنفسه ودفن فيها حوالي 1220هـ/ 1805م، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي وزاوية بني مقران. أمّا تلمسان اشتهرت بها زاوية سيدي بومدين وزاوية محمد السنوسي وزاوية أحمد الغماري وزاوية عين الحوت. كما تعتبر زواوة وبجاية من اعتى مناطق الجزائر بالزوايا وصلت إلى 50 زاوية أهمها: زاوية تيزي راشد وزاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية.

إذ تتبث الإحصائيات أنّ عدد الزوايا والأضرحة كان يفوق عدد المدارس والمساجد، كما لعبت الزوايا في الريف دورا ايجابيا ففي بداية العهد العثماني كانت عبارة عن رباطات للجهاد كما أنّها كانت على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية، وكان على السلطة أن تؤيد المرابطين بالعطايا والاعفاء من الضرائب حتى تضمن ولائها، ولكن بعض الزوايا أصبحت مصدرا للثورة ضد السلطة لاسيما في آواخر العهد العثماني كثورة يحي الأوراسي والزبوشي والردقاويين تحت قيادة ابن الشريف وابن الأحرش، كما تمردت الزاوية التيجانية في عين ماضي لاحقا.

كانت الزوايا في الريف مصدرا للتعليم إلى جانب وظيفتها الدينية حيث كانت تشمل مسجدا وقبة الشيخ المرابط ومبيتا للطلبة الداخليين ومساكن للغرباء والفقراء، وقد اشتهرت بعض الزوايا والخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار و الطلبة ومن ذلك زاوية محمد علي المجاجي وزاوية القيطنة و الملاحظ أنّ عدد الزوايا أكثر في غرب الجزائر مقارنة بشرقها وذلك يعود إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق وإلى كثرة الزوايا والمرابطين في المغرب الأقصى، ذلك لأنّ الحجاج ورحالة المغرب كانوا يعبرون الجزائر ويغذون فكرة الوطنية، ومن الزوايا التي لعبت دوراً تعليميا زاوية الفكون في قسنطينة وزاوية مازونة وعين الحوت في تلمسان.

ت– المعاهد العليا والمكتبات:

ت.1: المعاهد العليا: خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي توحد نظام التعليم، ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة غير أنّ جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل تتفوق على دروس

الجامع الاموي بدمشق والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات وتردد الأساتذة عليها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. فدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة ودروس سعيد المقري في تلمسان ودروس ابي راس الناصري في معسكر ودروس عمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبد القادر الراشدي في قسنطينة وأحمد البوني في عنابة كانت مثالا في التدريس، كما كانت الصدقات تلعب دورا هاما في انتشار التعليم.

فتلمسان كانت عاصمة الدولة الزيانية فقد اشتهرت بالمعاهد العليا أهمها مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، كما كانت قسنطينة مركزا للاشعاع العلمي اذ ساهم السكان وبعض البايات في تأسيس المدارس العليا، فصالح باي خلال حكمه نهض بالمدارس وأوقافها فكان في عهده مدرستان وثانويتان وهما سيدي بوقصيعة وسيدي خلوف[1]، فقد وجد الفرنسيون بها 7 مدارس للتعليم الثانوي والعالي. وفي العاصمة أشاد أبو راس الناصري الذي زار مدينة الجزائر سنة 1214هـ/ 1799م بوجود المدرسة القشاشية واشاد بها على أساس أنّها مركز للتعليم الثانوي والعالي، وتنسب إلى جامع القشاش وهي متصلة بالزاوية ولها أستاذ مكلفا بتدريس الشريعة والتوحيد بالإضافة إلى 10 أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى ، حولها الفرنسيون بمجرد احتلالهم للجزائر سنة 1831 إلى مخازن للجيش[2]، كما تحدث ابن حمادوش عن مدرسة الجامع الكبير التي كانت نواه جامعة يقدم الدروس بها أبرز العلماء تصل حلقات الدروس به إلى 12 حلقة كما كان عدد الآساتذة الذين يلقون الدروس به 12 أستاذا إضافة إلى عدد المسمعين دون الآساتذة الذين يقرؤون صحيح البخاري، أعطتها سلطات الاحتلال الفرنسي سنة 1833 إلى أحد الأوروبيين حولها إلى حمام فرنسي.

إلى جانب مدرسة الأندلسيين والتي كانت بمثابة مدرسة عليا لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم، إذ كان التعليم راقياً لان الأندلسيين قد عرفوا بإجادة فن التدريس وحسن التربية، أما مدرسة شيخ البلاد فقد أسسها

---

[1]– ابو القاسم، سعد الله، نفسه، ص : 275.

[2]– نفسه، ص: 282.

الحاج محمد خوجة أحد كتّاب قصر الباشا في أواخر القرن 12هـ/ 18م، كان يملك الكثير من العقارات فقرر وقفها على بناء مدرسة عليا تحوي 5 من الغرف لسكن الطلبة ورجال العلم، ومسجد للصلوات الخمس يؤديها الطلبة والعلماء واشترط على الأستاذ أن يكون ماهراً في العلوم النظرية والعلمية والأدب والمنطق.

إلى جانب المدرسة الكتانية بقسنطينة تأسست على يد صالح باي 1189هـ/ 1775م تبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله هادي المعروف بسيدي الكتاني[1]، وتتمتع بنظام داخلي دقيق بضبط اوقات التدريس والتغيبات، يأخذ المدرس بها 30 ريال والطالب الداخلي 6 ريالات، وقد أشاد البعض بهذه المدرسة ونظامها الداخلي وقارنها بمدارس فرنسا المعاصرة، علق أوجين فايسات " فإذا قارناه بالنظام المتبع في نفس الوقت داخل ثانوياتنا في فرنسا، فننا نرى أنّه لم يكن أقل منه مستوى"[2]، ومن بين مدرسيها الشيخ عبد القادر الراشدي الحنفي، الشيخ شعبان بن جلول قاضي الحنفية، والشيخ العباسي قاضي المالكية[3]، وسيدي مصطفى بن جلول الذي شغل منصب قاض في عهد صالح باي[4]، إلى جانب كل من محمد بن الموهوب واحمد بهلول عبده الذين استعان بهم صالح باي في تنظيم مصلحة الأوقاف لمدينة قسنطينة سنة 1185هـ/1771م.

ومدرسة الخنقة ببسكرة بخنقة سيدي الناجي أو الناصرية تنسب إلى مؤسسيها أحمد بن ناصر 1171هـ/1758م، اشتهرت بعلوم النحو والفقه والحديث بالخصوص مختصر البخاري لابن جمرة وعلوم البلاغة كالنحو والصرف والعروض ومختلف العلوم الأخرى باستثناء علم الكلام والمنطق[5]، وكانت مقصدا

---

[1]– موقع المؤسسة الكتانية عبر الموقع:

www.fondationkettani.org/

[2]–أوجين، فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792–1873، تر، صالح نور، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، 2010، ص: 50.

[3]–أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986،ص: 35.

[4]– ناصر الدين، سعيديوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص:65.

[5]–الحسين بن محمد، الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1917،ص: 119.

لطلبة الزيبان وواد سوف والأوراس وقسنطينة وعنابة وبلاد زواوة وحتى تونس وطرابلس[1] من خريجيها أحمد التليلي صاحب خطة البديع وخليفة بن حسن القماري صاحب الجواهر الاكليل في نظم مختصر خليل ومحمد بن عاشور صاحب كتاب الإشراف على عصاة الأشراف والشيخ محمد ابراهيم المكي قاضي سيدي عقبة، والشيخ ابن حسين محمد الطيب قاضي أولاد جلال والشيخ عمراني مسعود قاضي واد سوف والمطي بن عزوز عالم طولقة[2].

لخص الورثلاني المكانة العلمية للمدرسة :" أولاد الشيخ سيدي الناجي حازوا المعالي من قديم الزمان، وقد وجدت كثيراً من الفضلاء منهم في محلهم سيدي محمد الطيب وسيدي أحمد بن ناصر... فإنّ النحو عندهم يعتنى به الكبير والصغير حتّى أنّهم اشتهروا به اشتهارا بينهم[3]."

و**مدرسة مازونة** أسسها محمد بن الشارف البلداوي 1029 هـ/ 1619م وكان من اللاجئين الأندلسيين، توارث المدرسة أحفاده أبرزهم: الشيخ بوطالب، التي كان لها نظام راسخ وتقاليد استمدتها من صلتها بالتعليم بتلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، اشتهرت بالفقه والحديث والأصول والتفسير وعلم الكلام ، كانت مقصدا لطلاب من النواحي الغربية بالخصوص ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران، ومن خريجيها أبو راس الناصري الذي تحدث عن شيوخه فيها في رحلته" **فتح الإله** ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " **والشيخ عدة بن غلام الله**، . ولقد اعتمدت مدرسة مازونة في تكوين طلبتها الفقهي على المذهب المالكي بمختصر خليل ورسالة أبي زيد القيرواني،ومن مدرسيها نذكر: أبو طالب بن علي الشارف المازوني، الصادق الحميسي المازوني، الشيخ المعمر أبو طالب محمد المازوني...

---

[1]–أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 261.

[2]–كريمة، بن حسين: خنقة سيدي الناجي إبان العهد العثماني، المجلة المغاربية التاريخية، العدادن، 90/89، منشورات زغوان، تونس، ماي 1998،ص:65.

[3]–الحسين بن محمد، الورثيلاني: نفسه،ص: 119.

ب.2: المكتبات: كانت الجزائر في طليعة البلدان كثيرة الكتب وكان أغلبها ينتج محليا عن طريق التأليف والنسخ ومنها ما يجلب من الخارج بالخصوص من الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز ، وكان رصيد الكتب في تلمسان باعتبارها عاصمة علمية بلغت فيها صناعة الكتب درجة عالية، وكذلك بجاية وقسنطينة، إذ روى ابن صعد في النجم الثاقب أنّ زاوية ابراهيم التازي بوهران كانت تحوي الخزائن المملوءة بالكتب العلمية وآلات الجهاد[1]، وفي أواخر القرن 10هـ/16م كانت مدينة الجزائر كثيرة الكتب ولايضاهيها أي من البلدان الإفريقية وهذا ما ذكره التمكروتي في النفحة المسكية بقوله " الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد افريقية وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا[2].

كتب البارون ديسلان تقريرا عن المكتبات بقسنطينة عقب احتلالها مباشرة وآدريان بيربروجر الذي رافق الحملة الفرنسية إلى قسنطينة وتلمسان ومعسكر لجمع المخطوطات في هذه المدن، وكذلك شارل فيرو الذي كتب عن المؤسسات الدينية بقسنطينة وعن العائلات الكبيرة، وأنّ بعضا منها كانت تحتفظ بمخازن من المخطوطات في حالة جيدة وأنّ بها نوادر تعتبر فذة في موضوعاتها، ومن ذلك مكتبة شيخ الاسلام بقسنطينة عائلة الفكون التي قال أنها كانت غنية بالكتب الخاصة بالجزائر و البلاد الإسلامية.

وكانت الكتب تنقل مع الحجاج والعلماء من مصر والحجاز وتركيا والمغرب ... كما شاعت حركة النسخ والاستنساخ في الجزائر، وكانت تتم بالخط الأندلسي وكان في الجزائر سوق الوراقين مخصصا لجميع الكتب وأنّ النساخين كانوا فيه بكثرة. ومن أشهر المسؤولين الذين شجعوا حركة النسخ والاستنساخ الباي محمد الكبير فكان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده ومن ذلك أن أمر محمد المصطفى بن زرفة بتقييد حوادث الجهاد التي كانت تجري بين الجزائريين والاسبان، ذكر الفكون في منشور الهداية أنّ المفتي سعيد قدورة

---

[1]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ، ص: 286.

[2]–علي بن محمد، التمكروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تح، محمد الصالحي، ط1، 2007، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص: 159.

الذي كان وكيلا لأوقاف الجامع الكبير، قد اشترى لمكتبة الجامع كتبا كثيرة من فائض الاوقاف منها شرح العيني على صحيح البخاري[1]، وذكر البطيوي صاحب مطلب الفوز والفلاح أنّ شيخه إبن مريم صاحب البستان قد مات على أكثر من 600 كتاب.

ويمكن تقسيم المكتبات إلى عامة وخاصة **فالعامة** تلك الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس المفتوحة للطلبة ولجميع القراء المسلمين، حيث كانت الجوامع تحتوي على خزائن الكتب الموقوفة على طلبة العلم والعلماء، وكانت الكتب تقل أو تكثر تبعا لأهمية الوقف الذي تتغذى منه، أهمها مكتبة الجامع الكبير، مكتبة المدرسة الكتانية، مكتبة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير بمعسكر.

أما **الخاصة** فكثيرة فبعض العائلات اشتهرت لطول عهدها بالنفوذ كعائلة الفكون وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون، وكان لأبي راس الناصري مكتبة كبيرة حبسها عليه أحد بايات وهران وسمها بيت المذاهب الأربعة، وذكر الورتلاني أنه كان لوالده خزانة كتب عظيمة بحيث لا توجد عند غيره.

فمحتوى المكتبات لا يخرج عن العلوم الدينية كالتفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه والأصول والتوحيد وكذلك العلوم اللغوية والعقلية، فمصير الكثير منها ضاع أو تلف بسبب الحروب والأوبئة والنهب والتهريب والإهمال فقد أتلفت مكتبة ابن الصخري نتيجة حروب عائلته مع الأتراك ومكتبة الزجاي تبعترث نتيجة حرب درقاوة.

[1]–نور الدين، عبد القادر: تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص: 288.

السداسي الرابع:

محتوى المادة:

1- التعليم والعلماء.

أ- السياسة التعليمية

ب- وسائل التعليم

ت- كبار المعلمين

ث- مكانة العلماء ووظائفهم

ج- علاقة العلماء بالحكام

ح- هجرة العلماء

خ- العلماء المسلمون الجزائريون.

2- رجال التصوف والطرق الصوفية:

أ- الأولياء الصالحون والطرق الصوفية وموقف العثمانيين من رجال التصوف.

ب-سلوك بعض المتصوفة.

1- التعليم والعلماء:

أ- السياسة التعليمية:

لم يكن للدولة العثمانية دخل في التعليم فلم يكن له وظائف رسمية كوزير التعليم أو مدير أو وكيل... فلقد كان هدف الدولة منصبا على حفظ الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لخزينة الدولة، ولم تكن هذه المصاريف تصرف على التعليم، بل لدفع أجور الجنود والمعدات الحربية، بالخصوص البحرية وتوزيع الهدايا على السلطان العثماني وموظفي دولته، وإن قامت بذلك فبدافع ديني أو خيري وليس بدافع تعليمي، كبناء جامع أو كتّاب أو زاوية لأحد أولياء الله الصالحين . ويوقفون بذلك أوقافا لحفظه وصيانته. فلم يكن نظاميا معتمدا من طرف الدولة " نجد انه لم يكن ما يدل على وجود نظام رسمي قائم، حيث يغلب عليه الطابع الذاتي الحر، نظام يخضع لموروث تقليدي يضم عدة مؤسسات تعليمية الكتاب، الزوايا، المساجد، تمثل التعليم العربي التقليدي السائد في المجتمع الجزائري منذ القدم، والذي استمرت وظيفته حتى بعد الاحتلال الفرنسي[1]."

فالتعليم كان خاصا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية ومن ذلك رجال الدولة كأفراد، أمّا الآباء فكانوا يسهرون على تعليم أبنائهم وحريصين على إرسالهم إلى الكتّاب لتعلم المبادئ العامة وحفظ القرآن. فكان أساس التعليم هو الدين بحفظ القرآن الكريم في التعليم الابتدائي ومعرفة علوم القرآن أساس التعليم الثانوي والعالي، حتّى أنّ بعض العلوم العلمية كالحساب كانت لغرض ديني وهو معرفة الفرائض وقسمة التركة بين الورثة.

[1]–بلحسين، رحوي عباسية: دراسة سوسيو تاريخية للتعليم الجزائري من العهد العثماني إلى الاستقلال، مجلة الحوار الثقافي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، مج2، ع2، 21 سبتمبر 2013، ص: 94.

فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصّة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية، لأنّ دراسة مثل هذه العلوم هو السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة، ولذلك كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليميا ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا[1].

فمعظم أجور التعليم كانت من الأوقاف كنوع من الصدقة والإحسان ففي نظر الدولة والمجتمع المعلم يقوم بخدمة الدين وعلى هذا الأساس يستحق العطايا ذات الطابع الديني كالصدقات وبعض غنائم الجهاد وضرائب أهل الذمة[2]. ما يجب الإشارة إليه هو انه من يقرأ منشور الهداية لعبد الكريم الفكون ورحلة الورتيلاني وعجائب الأسفار لابي راس الناصري وبعض آثار أحمد بن ساسي البوني، سيجد امثلة كثيرة عن عدم التزام العثمانيين بقواعد الدين الإسلامي نحو الأوقاف، ومن يطالع كتب الرحالة والكتّاب الأوروبيين أمثال توماس شو، وباناتي وكتابات ألفريد بيل وشارل فيرو ومارسيل ايمريت، سيلمس الأحكام القاسية على موقف العثمانيين من التعليم، فقد شكا أبو راس الناصري في آوائل القرن 13هـ/ 18م من سوء أحوال العلم والتعليم في وقته رغم أنّه كان يعيش عصر الباي محمد الكبير قائلا:" في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدّت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه." وقد أرجع شو الإنكليزي موقف العثمانيين من التعليم إلى طبيعتهم الحربية ومزاجهم غير المستقر، واهتمامهم بالمال والتجارة، في حين نوّه باستعداد الجزائريين للتعلم لكسب المهارات في الصنائع ومع ذلك حكم بضعف مستوى التعليم وحاجة الجزائريين إلى الوقت لنمو استعداداتهم، غير أنه ما يحفظ للأتراك في الجزائر هو أنهم لم يشجعوا التعليم إلاَّ أنهم لم يعرقلوه[3]. كما أنّ البعد الشعبي في الاحتفاء بالنشاط

---

[1]– أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982، ص،ص: 160،159.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، نفسه، ص: 315.

[3]– بخوش صبيحة: وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للآساتذة، بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، 30 جوان 2008،ص:136.

التعليمي من العوامل التي جعلت التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منتشرا انتشارا واسعا حتى غطى كل المناطق بما في ذلك القرى والمداشر[1].

ب- وسائل التعليم:

اعتبر المعلمون عمدة التعليم والمعلم وهو ناشر العلم بين الناس بلسانه وكتابته وآرائه وسلوكياته، اعتبرت مهنته من أشرف المهن وأقربها إلى الدين والجهاد، غير انها كانت أكثر المهن فقراً. والمعلمون صنفان معلمو المدن والأرياف وفي كلا الحالتين هناك درجتان للمعلم فو مؤدب الصبيان في التعليم الابتدائي، هو المعلم أو المدرس إذا كان يدرس من المراهقة إلى 20 سنة، والأستاذ أو الشيخ كان يدرس لما فوق ذلك من الأعمار والمستويات.

كان الواقف أو أهل الحي هم الذين يختارون مؤدب الصبيان في المدن وأحيانا العائلى التي تعلم أطفالها بالخصوص البنات تعليما خاصا، " فبعض الواقفين كانوا يوقفون على تعليم القرآن وإنشاء الكتاتيب ويشترطون أحياناً أن يكون المؤدب من العثمانيين أو من أهل الأندلس أو من الشرفاء، كما يختار من أهل التقى والصلاح والضمير الإجتماعي وقد يشترطون فيه الزواج والأخلاق الفاضلة[2]." أمّا مؤدب الريف يختلف عليه في بعض التفاصيل فهو يستفتونه في شؤون الدين ويستكتبونه العقود، ويلجئون إليه عند الفتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وصلته بأهل الريف أشد وأقوى لأنّ معيشته تتوقف على رضاهم.

أمّا المعلمون والمدرسون هم موظفون بيتم تعيينهم من حكام البلاد، فإذا كانوا في العاصمة فمن الباشا أو خليفته وإذا كانوا في الأقاليم فمن البايات أو من قائد الدار (حاكم المدينة) ، ويضمن ذلك له

[1]–حميد، آيت حبوش: واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج4، ع7، 21 ديسمبر 2013،ص:07.

[2]–أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 322.

أجرا ثابتا من الأوقاف والهدايا والعطايا خلال مناسبة معينة...، فكان التنافس على هذا التعيين في الوظيفة، غير أنَّ البقاء فيها غير قار أو مضمون، إذ يتوقف على سمعة المعلم ووفرة الوقف والظروف السياسية، في حين المعلمون في الأرياف أكثر حرية وكان بعضهم من ذوي الخبرة والتبحر في المسائل العلمية، يجمعون التدريس إلى جانب وظائفهم الرسمية كالإفتاء والقضاء ...، فيصبحون من كبار الأساتذة في البلاد فالتعليم الذي ينشرونه نوعا من التعليم العالي، ويقدم هذا المستوى في الجوامع الكبيرة الموجودة في كل مدينة أما في الأرياف فكان أغلب أساتذة الزوايا من المرابطين، وقد اشتهر كل عصر وكل مدينة بعدد المدرسين وسجلت كتب السيرة، ككتاب البستان لابن مريم ومطلب الفوز والفلاح للبطيوي ومنشور الهداية للفكون ورحلة الورتلاني ورحلة ابي راس الناصري و تاريخ ابن المفتي مشاهير الأساتذة في الجزائر في العهد العثماني. وقد يشتهر المدرسون في وقت واحد ويتنافسون فيما بينهم فينتج عن ذلك حركة تعليمية، ففي الجامع الكبير بالعاصمة كان حوالي 19 أستاذ ومدرساً، وشهدت مراكز التعليم بمعسكر في أواخر ق 12هـ/18م حركة نشيطة كان على رأسها أبوراس الناصري وبوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن زرفة ومحمد الشارف، وفي قسنطينة في نفس القرن كان مدرسون أمثال المفتي عبد القادر الراشدي واحمد العباسي قاضي المالكية وشعبان بن جلول قاضي الحنيفية وعمّار الغربي ومحمد بن عيسى.

أمّا عن المواد المدروسة فاقتصرت على العلوم الدينية واللغوية وبعض كتب التاريخ والسيرة وقانون ابن سينا في الطب.

من العلوم الدينية الشائعة نذكر:

- ✓ تفسير القرآن الكريم ومنها تفسير الثعالبي والسيوطي.
- ✓ الحديث الشريف بالخصوص البخاري ومختصر ابن أبي جمرة وكتاب الشفاء للقاضي عيّاض.
- ✓ مصطلح الحديث بألفية العراقي.

- ✓ الفقه المالكي برسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- ✓ التوحيد أو علم الكلام بالمنظومة الجزائرية وعقائد السنوسي الثلاث.
- ✓ أصول الفقه و أصول الدين بجمع الجوامع للسبكي ومختصر ابن الحاجب الأصلي.
- ✓ القراءات بمنظومة الجزري والخراز وابن بري والشاطبيتين الصغرى والكبرى.
- ✓ التصوف بدراسة حكم ابن عطا الله وكتاب إسقاط التدابير[1].

أمّا العلوم اللغوية ميزها شيوع روح التصوف لدى مدرسيها أهمها:

- ✓ النحو بالأجرومية وألفية ابن مالك وشروحها كالمكودي.
- ✓ الصرف بلامية ابن مالك في التصريف.
- ✓ فقه اللغة.
- ✓ البلاغة بجوهرة الأخضري وحواشي السعد التفتزاني ومتنه وتلخيص المفتاح.
- ✓ العروض بالخزرجية مع شرحه للشريف الغرناطي.
- ✓ المنطق.
- ✓ الخط.
- ✓ السير والأخبار.

إلى جانب علوم: الحساب، الفرائض، الوثائق، علم الوضع، علم الفلك، الطب والصيدلة.

ت- **كبار المعلمين:** اشتهر بعض العلماء بالتدريس أكثر من التأليف، فشهرة المؤلف بطريقة التدريس و تلميذته وفصاحة لسانه وإطلاعه على الموضوع المدروس، وقلما كان العالم يجمع بين التأليف والتدريس، ومن الذين جمعوا بين الإثنين أبو راس الناصري وأحمد المقري

[1]– أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 355.

والفكون، غير أنه لم يكن هناك توازن، الاول غلب عليه التأليف والثاني غلب عليه التدريس، وهناك مدرسون لم يتركوا إلاّ قليلاً كمحمد التواتي وعمر الوزان وسعيد المقري.

ومن كبار المدرسين نذكر:

سعيدة قدورة 973هـ/1571م_ 1066هـ/ 1656م:

تولت عائلة قدورة الإفتاء المالكي بالجامع الكبير بالعاصمة أكثر من قرن، ومؤسس الأسرة علميا هو الشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة الذي تولى الإفتاء عام 1028هـ/ 1618م، واستمر فيه إلى وفاته 1066هـ/ 1656م، ، حصل اختلاف حول مكان ولادته بين قائل انه ولد في تونس وقول آخر على انه ولد في الجزائر، تلقى العلم على مشيخة مدينة الجزائر، وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن بلقاسمالمطماطي، الذي كان مفتيا بالجامع الأعظم، وشهرته تعود إلى كونه مبرزا في العلوم النقلية والعقلية بالخصوص في علوم الكلام والمنطق، وإلى جولاته العلمية الداخلية والخارجية، ثم تولى من بعده إبنه ثم أخاه، لعبت الأسرة أدوارا في الشؤون السياسية والعلمية والدينية، حيث تعاور أفرادها على خطط التدريس والإفتاء والخطابة والقضاء ونظارة الأوقاف.

بدأ طلبه للعلم بالجزائر العاصمة باعتبارها موئل للعلم والعلماء في القرن 16م ثم التحق بزاوية الشيخ آبهلول المجاجي* بالشلف وبعد مقتله واصل تعليمه على يد أخيه أبي علي الحسن وذلك

*: المجاجي صاحب مكانة علمية وإمامة عظيمة في علمي الظاهر والباطن وشهرته وتقدمه وأثره الكبير في تغيير الوجه العلمي لسهل الشلف، وقد كتب في مناقبه العربي المشرفي في كتابه ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، اشتهرت زاويته بالعلم والعمل والجهاد ودعم رباط تنس ضد هجمات الإسبان، حيث ذكر المشرفي أنّ ألفا وثلاثمئة مجاهد طعموا بزوايته وكان المجاجي يلقب بسفيان العابدين، ومات مقتولا ورثاه سعيد قدورة معتبرا اياه من الشهداء.

يقول:

مصاب جسيم كان يصمي مقاتلي ... ورزء عظيم قاطع للمفاصل.

أحقا قتلت اللألمعي محمدا... على قول حق لا على قول باطل.

قتلت إمرءا من شانه العلم والتقى ... فيا خير مقتول وياشر قاتل

فإنك من أشرار قوم خوارج ... بني نائل لا فزت يوما بنائل.

1004هـ/1596 إلى غاية 1009هـ/1600م ، ثم عاد إلى الجزائر أين درس على يد الشيخ المطماطي مختصر خليل وابن الحاجب في الفقه والفرائض والتوحيد، ثم سافر إلى تلمسان 1012هـ/ 1603م، وتتلمذ على يد سعيد المقري التلمساني بالخصوص العلوم العقلية كالحديث والمنطق والبيان... بالجامع الكبير بتلمسان، ثم سافر إلى الصحراء إلى فقيق وتافيلالت وسجلماسة ثم المغرب الأقصى، فزار فاس وبعد 7 سنوات عاد إلى الجزائر 1019هـ/ 1610م، وبوفاة شيخه المطماطي بدأ نشاطه حيث تولى الإمامة بجامع البلاط والخطابة في جامع سيدي رمضان مع التدريس فيهما، وتولى الإفتاء سنة 1028هـ/1618م بعد عزل أحمد زروق بن عمار واستمر في المنصب إلى وفاته 1066 هـ.

وإلى جانب وظيفته المذكورة كان خطيبا ومدرسا بالجامع الأعظم حيث تعود شهرته إلى المدة الطويلة التي قضاها في التدريس بأهم مساجد الجزائر، كما شغل وكيل الأوقاف الجامع الكبير، وقد استطاع قدورة أن ينفق على الجامع وأن يوفر أموالا لشراء الكتب لمكتبة الجامع، كما شيد زاوية قرب الجامع (زاوية الجامع الكبير)، إلى وفاته ودفن في زاوية المرابط أحمد بن عبد الله الجزائري عند أقدام شيخه المطماطي.

بلغت قيمته العلمية عند الباشوات أنّهم كانوا يقفون له إجلالا ويقبلون يده، وكان الرأي العام منعقدا على أنّه من العلماء الصالحين ، وبلغ تقدير الباشوات وأهل الديوان أنهم كانوا يقدمونه على المفتي الحنفي (شيخ الإسلام) الذي كان يمثل المذهب الحاكم، كان يخلط العلم بالتصوف فكان يدرس لطلابه كتب ابن عطا الله و صحيح البخاري ورسالة القيراوني وسلم الأخضري وصغرى السنوسي.

المرجع:

بيشي، محمد عبد الحليم: شيخ الإسلام وعالم العقليات، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، رقم1، 25 جانفي 2022، الجزائر، ص: 117،118.

ونظرا لشهرته شدت إليه الرحال من مناطق بعيدة كإقليم توات فأخذ عنه من مدينة الجزائر الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي وابنه الشيخ البكري كما أخذ عنه بعض علماء المغرب الأقصى، ومن أشهرهم الشيخ محمد بن سليمان الروداني. ومن تلاميذته عيسى الثعالبي الشهير بأسانيده في الحديث، ومحمد بن الكريم الجزائري قيل عنه أنه دائرة معارف الأدب والتاريخ، وابنيه محمد أبو عبد الله الذي انتهت إليه الخطابة والفتوى وكان بارزا في الفقه والعقائد والحديث، وابنه أحمد الذي تولى الافتاء بعد أخاه، وكذلك من تلاميذته يحي الشاوي وعمر المانجلاتي.

فكانت مساهمة سعيد قدورة في الدرس لا في التأليف ولهذا كثر تلاميذته وقلّ تأليفه، ومع ذلك نسبت إلى بعض التآليف لا تخرج عن الإملاءات التي كان يمليها على الطلاب بالجامع الكبير وجامع سيدي رمضان، فهي مختصرة وموضحة لبعض المسائل وهي بأقلام النسّاخ في الحديث والفقه والنحو والمنطق، وهي في حجم الكراس أهمها:

- شرح خطبة مختصر خليل في الفقه.
- حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل.
- نزاول تلمسانية.
- شرح المنظومة الخزرجية في العروض.
- حاشية على شرح صغرى السنوسي.
- شرح على السلم المرونق في المنطق[1].

كما كان شاعرا وله قصيدة في رثاء شيخه آبهلول المجاحي، وكانت له مراسلات مع علماء العصر وممن تراسل معهم في قسنطينة عبد الكريم الفكون فقال: " بيني وبينه محبة ورسائل[1]"، فكان من

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص،ص: 368–369.

أكبر القائمين على التدريس إذ يكفي في جدل أن يقال أنَّ المسألة رويت عن سعيد قدورة حتى يسكت المعارض ويصدق السائل، وكان يكفي في الطالب أن يقال عنه " قد درس عند سعيد قدورة أو أجازه[2].

علي الأنصاري السجلماسي أو الفيلالي المتوفي 1057هـ/ 1647م : استقر بالجزائر مع أسرته قادما من المغرب في القرني 11هـ/17م مارس التدريس بالعاصمة وكان متمكنا من عدة علوم حتى قال المحبي أنه كان آية باهرة في جميع العلوم، ومن العلوم التي كان يدرسها : أصول الدين، البيان، المنطق، النحر، ومصطلح الحديث والفقه والحديث والسير والتصوف، فتعليمه اقترب بالتعليم العالي.

حيث اشتمل برنامجه على علوم غزيرة وكتب كثيرة، ومن تلاميذته عمر المانجلاتي ويحي الشاوي والقاضي والشاعر محمد بن القوجيلي والشاعر محمد بن علي بن المهدي وعيسى الثعالبي.

ألف الأنصاري مجموعة من التأليف معظمها منظومات وشروح أهمها:

- تفسير القرآن الكريم.
- تأليف في رجال البخاري.
- منظومة في أكثر من ألف بيت في السير والشمائل النبوية سماها الدرة المنيفة في السيرة الشريفة.
- اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة.

---

[1]– عبد الكريم، ابن الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيوت، لبنان، 1987،ص: 223.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 367.

سعيد المقري 928هـ/1522م-1011هـ/1603م:

ولد مع سقوط الحكم الزياني وبداية الحكم العثماني بتلمسان عم صاحب كتاب نفح الطيب، درس على يد شيوخ تلمسان، ثم تلقى تعليمه بفاس ليدس على أشهر مشايخها ومن بينهم عبد الواحد الونشريسي، ثم عاد في عام 966هـ ليتولي الفتوى لمدة 60 سنة وخطيب جامعها الكبير لمدة 45 سنة[1]، إلى جانب التدريس فكان من العلماء الموسوعيين حيث برع في عدة علوم كالنحو والتوحيد والفقه والحديث واللغة العربية والمنطق والأصول وكان مهتم بالتاريخ والسير والشعر، ومولع بالطب والجراحة وغيرها من العلوم العقلية من حساب ومنطق وفرائض وهندسة، وصفه ابن مريم في البستان:" له باع في حديث البخاري وغيره، وكان علامة في التوحيد والفقه،، أتقن كل علم، حافظا للغة العربية والشعر والأمثال [2]. " فنال مكانة رفيعة بين علماء تلمسان، متفننا في تدريس مختلف العلوم، فكان يشد انتباه طلبته ليصل بهم إلى التحصيل العلمي[3]. فشهرته جاءت من التدريس لا التأليف ومن تلاميذته نذكر ابن جلال المغراوي التلمساني وسعيد قدورة وابن مريم التلمساني واحمد المقري التلمساني ابنه اخيه وصاحب كتاب نفح الطيب، وعيسى البطيوي، وابن جلال التلمساني، كما أجاز العديد من العلماء نذكر منهم ابن القاضي صاحب كتاب جذوة الاقتباس[4].

ورغم المدة التي قضاها في التدريس والفتوى إلا أننا لا نعرف أنه ترك تأليفا أو مختصرا،

---

[1]–عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980،ص: 311

ينظر كذلك:

الحاج محمد بن رمضان الشاوش: كتاب الجوهر السوسان في التعريف بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص:154.

[2]– ابن مريم، البستان، ص: 195.

[3]–نصر الدين، بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7 هـ/ 13م إلى القرن 10 هـ/16م" شهادة دكتوراه قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2010، ص: 189.

[4]– نصر الدين، بن داود، المرجع السابق، ص: 71.

عمر الوزان: هو عمر بن الكماد محمد الأنصاري القسنطيني المتوفي 965 هـ/ 1558م المعروف بعمر الوزّان كرس حياته للتدريس ورفض الوظيفة الرسمية كالقضاء، وكان قمة في العلوم العقلية والنقلية ومن الصالحين، وكان يدرس البيان والفقه والأصول والتصوف والنحو والحديث، ومن تأليفه نذكر:

- البضاعة المزجاة.
- فتاوي في الفقه والكلام.
- حاشية في شرح القصيدة الصغرى للسنوسي.

ومن تلميذته عبد الكريم الفكون الجد و يحي بن عمر الزواوي ويحي بن سليمان الأوراسي...

الشيخ أبو محمد عبد الكريم الفكون: (الحفيد) 988هـ/1073هـ- 1580م/ 1662م:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي، ولد عام 988هـ/1580م بقسنطينة، حفظ القرآن الكريم وقرأ على شيوخ قسنطينة من بينهم الشيخ محمد التواتي ومحمد بن راشد الزواوي، ثم عكف على القراءة وحده في مكتبة العائلة الغنية. وقد أسندت له الغمامة والخطابة بالجامع الأعظم خلفا لوالده محمد عام 1045هـ/ 1635م، ثم عهد إليه بإمارة ركب الحج، فظل يتولاها إلى وفاته سنة 1662م. في المقابل فلقد تصدى للتدريس منذ صغره بإذن من والده، فكان مدرسا ناجحا في الجامع الكبير بقسنطينة وبزاوية عائلته، فكان يستقبل الطلبة من قسنطينة ومن مناطق أخرى وبالخصوص من بلاد زواوة ومدينة الجزائر وما حولها، ومن نواحي الزيبان وعنابة،

ومعظم المواد التي كان يدرسها لطلابه هي النحور والتفسير والفقه، وعلم الكلام والرسالة وصحيح البخاري[1].

ساهم الفكون في حركة التأليف فشملت الأدب والنحو والاجتماع والدين، ومن أبرز كتبه " منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية.

الشيخ أبوراس الناصري المعسكري 1165هـ/ 1238م- 1751هـ/ 1823م:

يعد من كبار العلماء في عصره، عرف عصره تدهورا وانحطاطا في الأدب والعلوم واضطراب سياسي واجتماعي، وقد وصفه بن عودة المزاري بمجدد القرن 13هـ، ولد أبو راس الناصري الراشدي المعسكري بجبل كرسوط، عاش فقيرا يتيما كفله أخوه الأكبر بعد وفاة والدته، رحل إلى المغرب الأقصى وبعد عودته ذهب إلى منطقة القيطنة بمعسكر، التي كانت مركز لدراسة العلوم الشرعية، ثم إلى مازونة حيث تبقى العلوم الدينية اللغوية مدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى قريته وتلقى مختلف العلوم على يد عالمها الشيخ عبد القادر المشرفي[2]، ما يجب الاشارة اليه إلى أول شيوخه والده أحمد الذي يقول الناصري :" قرات عليه أول بدىء من سورة " إذا السماء انفطرت" وكما جمعت القرآن فأتيت إلى الشيخ منصور الضرير صاحب القراءة المتقنة والأحكام الموقنة"[3]. كما قرأ الفقه على يد الشيخ محمد بن مولاي سحنون قاضي معسكر، كذلك النسبي وانتقل خارج معسكر للأخذ عن الشيوخ ويقول في هذا الصدد فإذا هو نواله وعلى يمينه بيت الشيخ المشرفي ودرس في مازونة على يد

[1]– عبد الكريم، الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تح، أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص:11

[2]– أبو راس، الناصري: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الاندلسية، تح، سليمة بن عمر، دار الصنين، ليبيا، ط1، 2002، ص:35

[3]– أبو راس، الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 36.

فقهاء كبار منهم مصطفى بن هني والشيخ براهيم ... وغيرهم[1]. كما تعلم على يد الشيخ عبد القادر بن دحو فيقول عنه :" فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم... ثم على يد الشيخ محمد بن صادق بن أفغول شيخ الإسلام ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة، كما درس الأدب على امجد النظار السيد أحمد بن عمار.[2]" كما درس في مستغانم على يد الشيخ العربي بن قبران وغيرهم، كما درس التصوف على كبار المتصوفة في مازونة مثل الشيخ موسى بن يحيى المازوني والشيخ الصباغ القلعي.

ولقد لقب بحافظ المغرب الأوسط لتمكنه من الحفظ، قام بعدة رحلات داخل وخارج الجزائر والتقى العديد من الشيوخ، كما انتقل إلى المشرق وبالتحديد الحجاز لأداء فريضة الحج والتقى بالعلماء، كما زار مصر والتقى بعلمائها وقد امتحنوه في علمه محاولين اسقاط لقب الحافظ عنه وقد روى ما حدث له :" اجتمع مع علماء مصر بالجامع الأعظم وتناظرنا في وسائل جمعته فارتفع ذكري وازاد فخري... "[3] ، كما زار الشام والتقى بعلمائها وفي فلسطين التقى بمفتيها واعترفوا له بالفضل والعلم والحفظ، وفي المغرب اتصل بعلماء فاس ووقعت بينه وبينهم مناظرات ومقابلات، وهناك التقى بالسلطان العلوي سليمان وكانت له معه مجالسة علمية[4]، ثم تونس، ولم تكن رحلته إلى هذه الديار من اجل التحصيل العلمي بل للمناظرة والتفاوض حول المسائل العلمية والقضايا الدينية.

وقد أفرد أبو راس الناصري بابا في مؤلفه " فتح إله ومنته" سماه في أشياخي" وقد عرض فيه أسماء الشيوخ الذين اخذ عنهم :" يقول " واعلم أنني ببركة ومحبة أهل الرسوخ واجهت كلا منهم بآداب فأتممت وأمعنت النظر فيما رمز في كتابه وخرج من فيه بإذعان وقبول لتحصيل كل مأمول،

---

[1]– أبو راس، الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح، محمد غانم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص،ص: 14،15.

[2]– أبو راس، الناصري: نفس المصدر، ص: 30.

[3]–حنيفي، هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص: 255.

[4]– الجيلالي، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الامة، الجزائر، 2009، ص: 237.

فحصلت عند ذلك من حليب التوفيق وحصة من ماء التحقيق ... قيل للملك الاسكندر اليوناني أراك تعظم شيخك أرسطو على والدك، فقال والدي سبب الحياة الفانية وشيخي سبب الحياة الباقية"[1] كما كان الشيخ يحضر بعض المجالس التي تعقد بحضرة محمد باي بن عثمان باي وهران[2]. فبموهبته وعبقريته استطاع أبوراس الناصري أن يرتفع عن مستوى عصره الفكري أن يعيد للدراسات العلمية واللغوية مجدها من خلال شهادات معاصريه.

وقد تولى المناصب الدينية العليا كالفتوى والقضاء والخطابة إلى جانب التدريس 1166هـ/1752م، فعجت مجالسه بالطلبة ولهذا صنع الباي له كرسيا، وقد أسندت له مهمة القضاء وقد تولاها كارها لمدة سنتين، لكنه عزل من منصبه فيما بعد بسبب الفتن واشتغل مدرسا بالمحمدية التي بناها الباي[3].

ومن تلاميذته الشيخ عبد القادر السنوسي ويقول في هذا الصدد العلامة الماهر والسكة في علم الظاهر والباطن تلميذنا العارف ابن شيخنا عبد القادر المشرفي ذي السر الخفي[4]، ومع ذلك فلم تشغله وظائفه عن التأليف وصلت عدد مؤلفاته نحو مائة وخمسين مؤلفا من مختلف العلوم: الفقه، المنطق، اللغة، النحو، الصرف، العقائد، التاريخ، الحساب، علوم القرآن وكتب في التراجم و الأنساب والرحلات[5]. غلب عليه في تأليفه طابع العصر أواخر العصر العثماني فشرح المتون وحاشية

---

[1]– أبو راس، الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 36.

[2]– أبو راس، الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص،ص: 101،100.

[3]–موصدق، خديجة: الابريز لابن راس الناصري المعسكري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر،2009، ص: 252.

[4]–المزاري، أغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر اسبانيا فرنسا إلى بخر القرن 19م، تح، يحي بوعزيز، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،2009، ص: 57.

[5]–يحي، بوعزيز :موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص: 57

الشروح بل جعل للمتن الواحد عدة شروح، واعتمد على حفظه فأكثر في تأليفه من التكرار والاستطراد و\كر الغرائب واللطائف تماشيا مع بضاعة عصر معين بل تناول كل التخصصات[1].

أهمها: الشماريخ في علم التاريخ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، إلى جانب عدة شروح على قصيدته " الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة والاندلس" ، توفي الشيخ أبو راس الناصري في شهر شعبان 1238هـ/ 1823م ودفن بمقبرة بابا علي بمعسكر.

ث- مكانة العلماء ووظائفهم:

شكل العلماء الدور البارز في ترسيم الوجود العثماني بالجزائر ما مكنهم من تجلي مكانة واحترام تجلي الأخوين بربروس[2]، فالعلماء هم رجال الدين فكل فقيه أو محدث أو مفسر في نظر الناس هو عالما[3]، ويتم تلقيبه بسيدي فلان بل يقول دوتي (Doutté) تطلق كلمة سيدي في الجزائر على كل من اسمه محمد تكريما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، فلقد كان العلماء يمثلون الرأي العام، فالناس يثقون في رجال الدين في العهد العثماني أكثر من ثقتهم في رجال السلطة، فلقد شكل رجال الدين في العهد العثماني ثلاث أصناف وهو :

- العلماء الموظفين.
- الفقهاء المستقلين الذين لهم علاقة بالتصوف.

[1]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، 1990، ص: 338.

[2]- محمد، دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، الأصالة للنشر والتوزيع ط1، الجزائر، 2011، ص:370.

[3]- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 481.

[4]- أدموند، دوتي: الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر، محمد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص: 59.

- العلماء المتصوفة الذين لم تكن لهم اهتمامات بالوظيفة ولا التقرب للسلطة وهم المحايدون مثل ابن حمادوش الذي امتهن التجارة ونجدها جلية في بايلك الغرب[1].
- العلماء المدعون للعلم (المتصوفة).

فجهل الحكام هو ما أدى إلى ظهور فئة العلماء كمستشارين ومشرعين ومفسرين[2]. فمبايعة الباشا لا تتم إلا بحضور العلماء والأشراف حيث يبايعه العلماء ثم نقيب الأشراف ثم الوزراء والديوان، وهذا ما ذكره الزهار لما تولى محمد باشا الحكم (1179هـ/1766م)، حيث قال :" وبايعه العلماء ونقيب الأشراف ثم الوزراء وكافة الديوان وجميع الناس"[3]، وكان لابد أن يمضي المفتي والقاضي ونقيب الأشراف وأعضاء الديوان على قرار تعيينه"[4].

ما يجب الإشارة إليه إلى أنّ فئة العلماء بالمدينة تنتمي إلى فئة الحضر فهي تحتل المرتبة الثالثة في التركيبة الاجتماعية في العهد العثماني، وتجسدت مهامهم في الإفتاء والتعليم والإمامة والخطابة ... فعلماء المدينة كانت وضعيتهم مريحة في مقابل حيادهم عن السياسة وإرضاء السلطة[5]، كما تميز بتولي المناصب في العائلة حتى ولو كانوا غير مؤهلين مثل تولي حفيد سعيد قدورة الحاج سعيد بن احمد بن سعيد قدورة للافتاء رغم انه لم يكن مؤهلا وهذا نتيجة احترام سكان المدينة لعائلة قدورة.

فكان الباشوات في الجزائر هم الذين يعينون العلماء في وظائفهم، وقد وقف العلماء أحيانا مواقف سياسية من بعض الحكام فكان نصيبهم الإعدام، كما حدث للمفتي أحمد قدورة مع الباشا محمد بكداش سنة 1118هـ، كما كان النفي أحد الطرق للتخلص منهم أو العزل.

---

[1]- أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ج1، ص: 421.

[2]-أبو القاسم، سعد الله،ج1، ص: 388.

[3]– أحمد الشريف، الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تقديم: أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1972، ص،ص: 342،343.

[4]– حمدان، خوجة: المرآة، نفسه،ص: 132.

[5]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ج1، ص: 389.

احتكرت فئة العلماء مجالات معينة كالإفتاء والقضاء والتعليم والإمامة والخطابة ... فكثر التنافس فيما بينهم، فكان الحكام يضربون هذا بذاك ويغلبون فريقا عن فريق وعائلة عن عائلة، فالعلماء في المدن ابتعدوا عن الشعب وأصبحوا ينظرون إليه نظرة فوقانية[1]، فمصالحهم كانت في إرضاء الباشوات وكسب ودهم وليس في خدمة الشعب، لتصبح فئة العلماء طبقة متميزة لها خصائصها ومصالحها ونمط معيشتها.

تميزت بعض الأسر العلمية بالثراء الغزير فقد لاحظ التمكروتي في أواخر القرن 10هـ/ 16م أنّ علماء الجزائر تغلبت عليهم المادية وقد شارك المفتي سعيدة قدورة ماله مع بعض التجار، وكان المفتي ابن مرزوق بن داود صاحب ثروة وكذلك كان سعيد المقري في تلمسان وعمر الوزان في قسنطينة، وكذلك عائلة ابن الفكون وابن باديس بقسنطينة من العائلات الغنية، ومع ذلك لم يكن كل العلماء أغنياء فكان فيهم الفقراء بالخصوص الذين امتهنوا التدريس.

فأعلى وظيفة كان يتولاها العالم هو الإفتاء وكانت تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه والعلوم القرآنية والحديث والقياس ونحو ذلك...، إلى جانب قوة الشخصية والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، وكان شهرة العالم بين النّاس في ذلك من عوامل ترشيحه لهذه الوظيفة، وكان التنافس على أشده والكثير منهم كانوا ينظرون إليها على أنّها مكسب للرزق ومطلب للجاه.

وقد جعل العثمانيون الفتوى على المذهبين مذهب الإمام ابن ابي حنيفة ومذهب الإمام مالك، وكان الأول المذهب الرسمي للعثمانيين ونظرا لعدم وجود علماء أحناف في الجزائر، ولعدم الثقة الكاملة سياسيا في علماء الجزائر فإنّ سلاطين آل عثمان كانوا يعينون الباشا وكذلك القاضي الحنفي مدّة سنتين، ففي الغالب يرسلونهم لتمثيلهم في الجزائر، ولم يعتمدوا في ذلك على علماء

[1]– ابو القاسم، سعد الله: نفسه،ج4، ص: 390.

الجزائر، على الأقل في بداية عهدهم، ومهما كان فإنّ المدرسة الجزائرية كانت غير كافية لسد جميع الفراغات في الوظائف المفتوحة أمام العلماء ولعل عدم توحد المدرسة الجزائرية قد أضعف أيضا فئة العلماء، ذلك أن أصول تعليمهم وطموحاتهم كانت مختلفة في النهاية[1]، فالمذهب الأول يمثل السلطة السلفية والثاني السلطة العلمية، وقد سموا القاضي الحنفي بشيخ الإسلام وكان مقدما على المفتي المالكي وفي تولى الحظوة والرأي، ومع مرور الزمن أصبح المفتي الحنفي لا يعين من اسطنبول وإنّما يعين من أبناء العثمانيين المؤَلدين في الجزائر، ويذكر ابن المفتي أنّ والده حسين بن رجب شاوش أول مفتي حنفي يعين من أبناء العثمانيين في الجزائر (الكراغلة)، والذي تولى بتاريخ 1102هـ/1650م. وكان المفتي يتولى التدريس ووكالة الأوقاف والخطابة، وفي حالة ما إذا اختلف المفتيان تنعقد مناظرة عامة يحضرها القضاة والعلماء والباشا أو ممثله، ويؤخذ الرأي بالأغلبية وبترشيح الباشا للرأي الذي يميل إليه، فقد يؤخذ برأي المفتي الحنفي وأحيانا يعزل المفتيين معا عند النزاع، ويعين بدلهما آخرين كما وقع لمحمد ابن العنابي وزميله المالكي عام 1232هـ/1816م .

كانت المراسلات بين العلماء من أهم وسائل الاتصال بينهم، وفي المراسلات يتم تبادل المعلومات وحفظ العلائق الودية ووضوح المسائل العلمية الغامضة وكان بعض العلماء يتبادلون الألغاز، فقد ذكر عبد الكريم الفكون (الحفيد) أنه كان تراسل مع احمد المقري عندما كان هذا الأخير في القاهرة، وكان علماء قسنطينة وعنابة يتبادلون المراسلات أيضا، ومن ذلك مراسلات بركات بن باديس مع تلميذه أحمد البوني، وكانت بين سعيد المقري في تلمسان وعلماء المغرب مراسلات أثبتها ابن أخيه أحمد المقري في روض الآس وغير ذلك[2].

القضاء يأتي في المرتبة الثانية بعد الإفتاء ذلك أنّ وظيفة القاضي الحنفي كانت أساسية في المرحلة الأولى من الوجود العثماني، باعتبارها وظيفة سياسية ودينية وبحكم اتصال القاضي المباشر

[1]– سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 389.

[2]– سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، 401،402.

بالمشاكل اليومية كالخصومات وعقود الزواج والطلاق وعقود البيع والشراء، فوظيفته تعتمد على التنفيذ والممارسة، لهذا كان بعض الفقهاء يعتذرون بعدم القدرة على القيام بمتطلبات القضاء. وفي عهد الباشوات جاء القضاة إلى الجزائر للحكم بموجب المذهب الحنيفي فأصبح في الجزائر قاضيان في كل مدينة رئيسية، وتحت هذين القاضيين مجموعة من القضاة المنتشرين في أنحاء الأقاليم، وكان هناك قضاة يرافقون الحملات العسكرية والغزوات البحرية في الخارج وكانوا يسمونهم بقضاة العسكر ، وقد كان منصب القضاة محل تنافس بين العلماء رغبة في المال والجاه، كما عرف بعض القضاة بالجهل لأحكام الدين وإصدار الأحكام الجزافية[1].

أمّا الخطابة تأتي في الأهمية الثالثة ويشترك الجمهور في الحكم على الخطيب ومن شروطها الفصاحة وجودة الصوت وسعة الإطلاع والجرأة الأدبية، إذ يؤدي الخطيب صلاة الجمعة وصلاة العيدين، ويجمع أحيانا الصلوات الخمس، فهو بذلك إماما وقد تنافس العلماء على وظيفة الخطابة.

ومن الوظائف العامة للعلماء التدريس فأحيانا كانت تابعة للوظائف الأخرى فالمفتي والخطيب يتوليان التدريس، وكان مدرسو المدن الكبرى يعينون من قبل السلطة الحاكمة، وكان لقب العالم يطلق على بعض الفئات الأخرى في المجتمع : ككتاب الإنشاء الذين يكتبون للباشوات والبايات ويسجلون محاضر جلسات الديوان والمفاوضات والمعاهدات مع الدول الأخرى، وكانوا يسجلون أخبارهم وأعمالهم. أمَّا المثقفون الأحرار فكانوا أكثر كفاءة من الفقهاء وهم في ثورة دائمة على السلطة وكان بعضهم يحذر من خدمة الحكام والفئة الثالثة هم المرابطون.

كان العلماء يقومون بأعمال أخرى كالسفارة من ذلك سفارة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي إلى المغرب أكثر من مرّة، مبعوثا من باشوات الجزائر إلى سلاطين المغرب لتحديد الحدود وتأمين

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 395.

العلاقات بين البلدين[1]. وكان الخروبي من رجال الدين والتصوف ومن تلاميذ أحمد زروق قدم إلى الجزائر من طرابلس فاستوطنها وتوفي بها سنة 961هـ[2]. فكان العلماء يعيشون في دائرة اجتماعية ضيقة وكانت لديهم مشاعر الترفع عن علماء الريف، كما أن العائلات الحضرية العريقة كانت تعارض تولي علماء الريف الوظائف الكبيرة، بالخصوص في قسنطينة وتلمسان، على نقيض العاصمة التي كانت مدينة مفتوحة وكانت تستقبل حتى علماء المغرب وتونس واسطنبول وتمنحهم الإقامة و الوظائف.

ومن مظاهر العيش في دائرة ضيقة توريث العلماء لأبنائهم وأقاربهم في الوظائف، فقد أناب سعيد قدورة ابنه محمد رغم صغر سنه في الخطابة في الجامع الكبير، وبعد وفاته أصبح هو المفتي الرسمي وظل فيه مدة 40 سنة، ثم خلفه أخوه أحمد. وولي المفتي محمد بن ابراهيم (ابن نيكرو) والدية خطة الخطابة، وتوارثت عائلة ابن العنابي الإفتاء والقضاء خلال قرن من الزمن، إلى جانب احتكار الوظائف في أسرة واحدة فالشيخ ابن الأمين قد تولى الفتوى لعدة مرات، إلى جانب علاقة المصاهرة في الوظيف، فمراجعة تاريخ الأسر العلمية يكشف عن العلاقة العائلية بينها، فعائلة قدورة صاهرت عائلة المرتضى وهي عائلة كانت فيها نقابة الأشراف، وبين عائلة الزهار من الأشراف وعائلة المبارك بالقليعة وهي من أسرة المرابطين مصاهرة، وبين أسرة المقري وأسرة الونشريسي مصاهرة.

ج- علاقة العلماء بالحكام:

مثل العلماء الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني فكانوا على صلة بالناس من خلال الدروس ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا وخطب الجمعة، وكان النّاس يثقون في رجال الدين أكثر من

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 398.

[2]–أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيار فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص: 489.

ثقتهم في رجال الحرب، لهذا كان العثمانيون يلجأون إليهم في موقف التأييد كما أنّ بعض العلماء كانوا في حاجة للباشوات والبايات طلباً للمال والوظيفة أو التأييد ضد أي منافس. ويمكن تقسيم العلاقة بينتها إلى تقارب وتنافر، وكان الحاكم العثماني ملتزما بمبدأ هو انه رجل محارب وسياسي وأنّ حروبه وسياسته قائمة على الدفاع عن الدين والجهاد في سبيله، وكانت الحدود بين العالم والحاكم قائمة على أنّ رجال الدين لا يتدخلون في سياسة وحروب الباشوات والبايات، وفي المقابل لا يتدخلون في شؤونهم الدينية والقلمية، فإذا اقتربوا غضب وسخط، إلاّ أنّ الدين الإسلامي لا يعترف بذلك، لهذا كان بعض العلماء لا يعترفون بهذه الحدود فيلقون الجزاء، وأكبر ما يستطيع العالم أن يقوم به هو انّه يقدم النصيحة للحاكم وتوضيح ما هو ديني وغير ديني، ويغلفون النصح في قالب لا يحس أنّ العالم يتدخل في شؤونه.

وقد وجد بعض العلماء في التحريض على قتال الأسبان في وهران مجالا حراً للتعبير عمّا في أنفسهم اتجاه السلطة والدين معا، ما دام الباشوات عازمين على الجهاد بصفة عامة، فكان موقف تأييد وتأليب للرأي العام ضد الأسبان، ثم ينتقلون إلى اغتنام الفرصة لطرح قضاياهم الخاصة، ومن ذلك تحريض الشاعر محمد بن آفوجيل الباشا حسين خوجة الشريف على قتال الأسبان بوهران ثم انتقل إلى الحديث عن حال العلماء في الجزائر وأن يأخذوا حقوقهم من بين المال أو من الأوقاف في ظل الفساد الاجتماعي، وفي الجزائر عدد كبير من العلماء اشتهروا بالتفسير والحديث والفقه والشعر، ولكنهم مع ذلك لا يجدون مساعدة، لأن الباشوات قد أهملوهم فكانت النتيجة أن ضاع العلماء وجاعوا"[1].

وقد اشتهر بعض الباشوات بتقريبهم للعلماء إمّا حبا في الدين والعلم وإمَّا طمعا في التأييد وإمَّا رغبة في المدح والثناء، وكان طبع الحكام العثمانيين غير ثقافي وأنهم لايتقربون من العلماء إلا عند الحاجة

[1]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 410.

القصوى، ومن هؤلاء القلة يوسف باشا خلال القرن 11ه/17م فهو الذي أفسح المجال أمام علي بن عبد الواحد الأنصاري، وفي عصره عظمت مكانة عيسى الثعالبي، كما تبادل الرسائل مع علماء عنابة مثل محمد ساسي البوني، وكذلك الباشا محمد بكداش كان يتقرب من العلماء وقد قرب إليه البوني وعددا من العلماء وخصهم بالهدايا والعطايا، الأخير وبطلب من يوسف باشا تدخل لدى الأهالي لتوقيف ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري ضد الحكم العثماني، وقد طلب البوني من الباشا العفو عن الأهالي، فكان له ذلك[1]. وهناك رسائل بين البوني والباشا مؤرخو بسنتي 1050ه/1640م، 1051ه/1641م ومما جاء فيها:" ... إلى سيادة الفقيه الصالح الناصح الولي العارف بالله... أبي عبد الله محمد ساسي قوّى الله مدده، و أكثر حزبه وعدده..."[2]

ومن الأسر العلمية التي كانت لها علاقة بالعثمانيين أسرتاَ الفكون وابن باديس وقد انتصرت الأولى للباشوات أيّام ثورة ابن الصخري ولذلك كتب الباشا إلى الشيخ الفكون جوابا جاء فيه :" "... إلى مقام العالم المشهور الخير الصبور ... سيدي الشيخ بن الفكون ... فقد بلغنا أنك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد، والرأي الصائب الرشيد، فكان في ذلك حقن دمائهم وزوال الخلاف والهرج بينهم فجزاك الله بأحسن الجزاء وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى إلى الخير والصلاح، وترشد العباد للفلاح والنجاح، ثم نلتمس منكم دعاء الخير في كل خطب، وزمان كل ركب."[3] وكذلك عندما تمرد صالح باي، وأثناء ثورة ابن الأحرش ليرسل الباشا إلى علماء قسنطينة الوقوف والالتفاف حول الشيخ

---

[1]– أبو القاسم، سعد الله: شيخ الإسلام، عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص،ص: 34،35.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص،ص: 54،56.

[3]– محمد الصالح، بن العنتري: فريد منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 46.

الفكون، أمّا بالنسبة لأسرة ابن باديس فقد تولى حوالي 40 شخصاً منها الوظائف السلطانية في العهد العثماني[1].

فكثيرا ما التجأ الباشوات إلى العلماء في الأوقات الحرجة طالبين منهم الرأي وتجنيد العامة بالخصوص خلال الغارات الإسبانية على السواحل والثورات الداخلية، غير أن **العلاقة ساءت** بين العلماء والسلطة الحاكمة في الجزائر بالتحديد في أواخر القرن التاسع عشر أواخر العهد العثماني بعد فتح وهران، بعد تصفية الاحتلال الاسباني فالجهاد ضد الاوروبيين عموما والاسباب بالخصوص كان عاملا رئيسيا في توطيد العلاقة بين السلطة والعلماء ومنذ الاسترجاع النهائي لوهران 1790 م لم تعد هناك الحاجة إلى الجهاد، بالخصوص بعد اهمال العثمانيين لأغلب مجالات الحياة والتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية، وحفظ الامن داخليا وخارجيا، ومن أهم أسباب القطيعة لجوء السلطة العثمانية إلى سياسة الضريبة التي أنهكت الرعية في ظل تقلص مردود البحرية في ظل تقهقر البحرية الجزائرية في أواخر القرن 18م وتناقص مداخيل الخزينة، ليتوجه الحكام إلى الداخل لتوفير احتياجاتهم المالية فضاعفوا الضرائب وأخضعوا القبائل الخارجة عن السلطة بالقوة، مما أدى إلى سخط الكثير من العلماء ومعارضتهم للسلطة العثمانية[2].

أثناء ثورة درقاوة في القرن 13هـ/ 19م وقد عانى من ذلك أبو راس الناصري والزجاي ومحي الدين والد الأمير عبد القادر وابن العنابي وبوضياف وابن قندوز... فقد كانوا يسلكون معهم طريقة الترهيب والتخويف، ومن ذلك أن حكم الديوان بالموت على المفتي الحنفي محمد بن مصطفى المعروف بابن المستي ومصادرة أملاكه 1138هـ/ 1725م. فالكثير من علماء تلمسان فروا إلى المغرب في موجات عدة عند دخول العثمانيين وخلال ثورة درقاوة، والكثير أيضا من العلماء كانوا وقودا في معركة الأسبان

[1]–أبو القاسم، سعد الله، نفسه، ص: 417.

[2]– لزغم، فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925هـ/ 1246هـ– 1520م/ 1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران1، 2014، ، ص: 480.

بوهران في الفتح الأول 1119 هـ/ 1708م والفتح الثاني 1205هـ/ 1792م، فكل من الباي مصطفى بوشلاغم والباي محمد الكبير قد جند العلماء وجعلوهم في الطليعة.

ح- هجرة العلماء:

تعرف الهجرة على أنها هي الخروج من أرض إلى أخرى، وهي أيضا انتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق، ويقول هاجر، أي ترك وطنه، وهاجر من مكان كذا أو عنه، أي تركه وخرج منه إلى غيره، وهاجر القوم، أي هجرهم وانتقل إلى آخرين[1]، وهجرة العلماء تكون داخلية حيث ينتقل بعضهم من مدينة إلى أخرى طلبا للعلم أو الوظيفة، ومن القرية إلى المدينة حيث العلم أكثر انتشارا، أو من المدينة للريف فرارا من وضع معين، أو الخارجية أما للحج أو طلب العلم للمشرق أو المغرب، فكانت حركة العلماء إلى خارج القطر الجزائري في إطار الهجرة الخارجية نتيجة عوامل سياسية واقتصادية ودينية، وهي نوعان هجرة مؤقتة وهجرة دائمة، فالأولى لطلب العلم أو مجاورة بيت الله والثانية هروبا من الأوضاع غير المرضية.

- **الرحلات إلى المغرب الأقصى:**

فقد هاجر علماء تلمسان إلى المغرب الأقصى بعد استيلاء العثمانيون على مملكة بني زيّان واستمرت الهجرة حتى بعد أن استقرت الأوضاع، فهناك عائلات انتقلت بكاملها إلى المغرب بالخصوص إلى فاس، إضافة إلى الحروب الداخلية التي عرفتها المملكة الزيانية في أواخر عهودها وعلاقتها بالأسبان في وهران وضغط بني وطّاس عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق، مما جعل العلماء لا يشعرون بالراحة وبالاجتهاد بالرأي والحياد السياسي.

[1]– مسعود، بقادي: هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي في الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/ 16م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2013، ص: 83.

ومن ضمن من هاجر صاحب المعيار أحمد الونشريسي فكان وحده خزانة علم ودائرة معارف فقدت البلاد بهجرته ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية[1]، واستقر بفاس وظل ابنه عبد الواحد في فاس أيضا، الذي كان له مجلس خاص لا يحضره إلاّ أكابر العلماء وقد تولى الإفتاء والقضاء والتدريس، واشتهر بأنّه كان لا يخشى صاحب السلطة في أمور الدين وكان ذلك سببا في قتله على يد عملاء السلطان محمد المهدي الشيخ السعدي، عندما رفض عبد الواحد الونشريسي مبايعته وخلع بيعة أحمد الوطاسي، وهكذا مات مقتولا عند أبواب جامع القرويين 955هـ/ 1548م.

ومن بين العلماء الذين هاجروا إلى المغرب محمد بن مرزوق الخطيب وأحمد الواعزاني ومحمد بن شقرون الوجديجي الذي نزل فاس وتناول الإفتاء في مراكش ، أمّا عن أكبر موجه للهجرة نحو المغرب حدثت بعد فشل الحملة السعدية على تلمسان، فقد رافق السلطان السعدي عند عودته إلى بلاده كثير من العلماء الذين كانوا قد أيدوا تدخله في تلمسان حوالي 968هـ/ 1561م، ومن الذين هاجروا محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد التلمساني الذي تولى عدة وظائف رسمية كالقضاء والإفتاء والتدريس في مدن مختلفة من المغرب كفاس ومكناس وتارودانت وسجلماسة وقد أدركته الوفاة بتارودانت سنة 1001هـ[2].

إلى جانب هجرة محمد بن عبد الرحمان المغراوي المعروف بابن جلال نتيجة الأوضاع السياسية بين العثمانيين والسعديين، و الذي ولد بتلمسان سنة 908هـ واشتهر بعلومه ومكانته وارتباطه بالسلطان السعدي هناك، فلّما عاد السلطان السعدي إلى فاس رافقه سنة 958هـ/ 1551م وقلده وظيفة الإفتاء والتدريس والخطابة بجامع الأندلس ثم القرويين، وظل في الموضعين لاكثر من

[1]–أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 429.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 425.

عشرين سنة، وقد أصبح ابن جلال عارفا بعلوم الوقت كالمنطق والفقه والعقائد والبيان والحديث والتفسير، وفي فاس أصبح له تلاميذ معترف لهم كاحمد المنجور صاحب الفهرس[1].

وأحمد المقري صاحب " نفح الطيب" هاجر إلى فاس أين برزت شهرته العلمية، ذلك أنّ شهرته العلمية قد بدأت في المغرب ثم المشرق، وقد قصد فاس وتولى فيها الوظائف وانغمس في السياسة حتى كادت تأتي عليه رياح الفتن، إلى جانب محمد الكريم الجزائري الذي هاجر إلى فاس سنة 1083هـ/ 1673م بإغراء من السلطان اسماعيل، الذي أكرمه وكان يبجله ويعظمه، ويبدو أنّ كفاءته العلمية هي التي مهدت له الطريق لدى السلطان، فقد قيل انه كان حسن الحديث والمناظرة ممتع المجالسة، وانه كان دائرة في الأدب والتواريخ، وقد توفي ابن عبد الكريم في فاس 1102هـ[2]، ومحمد أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد الذي رحل عن قسنطينة إلى المغرب، المنتمي إلى عائلة شهيرة بالعلم والشرف تولت القضاء والتدريس والإفتاء في قسنطينة جيلا بعد جيل، فبعد ان درس في بلاد زواوة على محمد المقري وفي العاصمة على محمد بن سعيد قدورة، قصد فاس التي كان موئل للعلماء، ولعلمه وفضله ازدحم الناس عليه ولاسيما عند تدريس الأصول على جمع الجوامع للسبكي، ولفت إليه ذلك نظر السلطان وارتفعت مرتبته لدى أرباب الدولة ونال حظوة كبيرة، وكان دؤوبا على المطالعة لايراه الرائي إلا دارسا أو مطالعا أو مقرئا، وكان ابن الكماد متمكنا من علوم شتى كالمنطق، والتوحيد والحديث والفقه وفروعه، وقد توفي 1116هـ/ 1704م، وترك تلاميذ من أبرز علماء المغرب في وقتهم، مثل محمد بن عبد السلام البناني، وإدريس بن محمد المنجزة[3].

إلى جانب سعيد المنداسي من أبرز شعراء الملحون والفصيح، والمهاجرين إلى المغرب لأسباب سياسية، وهو صاحب قصيدة العقيقة، ويقال أنّ السلطان محمد الشريف العلوي قد منح المنداسي نحو 25 رطلا من الذهب الخالص جائزة له على بعض أمداحه فيه.

---

[1]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 425.

[2]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص،ص: 426،427.

[3]– أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص،ص: 427،428.

ما يجب الإشارة إليه أنّ الهجرة إلى المغرب كانت أيضا لطلب العلم، كما أنّ عددا من العلماء كانت لهم جذور تاريخية من أسر وأنساب وتجارة ... كما أنّ الجو العلمي في المغرب أفضل منه في الجزائر لقرب المغرب من الأندلس وكثرة المراكز والعواصم التعليمية والعلمية، ووفرة المكتبات ووجود جامع القرويين وتقدير ولاة المغرب لأهل العلم, إلى جانب تورط بعض العلماء في المشاكل السياسية المحلية.

- **الرحلات إلى تونس:**

كانت تونس من أبرز الحواضر العلمية والثقافية، وكان العلماء ينزلون بها أثناء رحلاتهم للحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج، وبحكم أيضا تجاور الإيالتين وتشابه المذاهب الفقهية بينها، سيما و أن جامع الزيتونة بتونس قد جذب إليه عددا هاما من العلماء الجزائريين كونه يعج بالعلماء الذين يلقون دروسا في مختلف العلوم، كما أولى البايات المراديين والحسينيين عناية كبيرة بالحياة الدينية والعلمية ، وهذا ما أدى إلى كثرة المدارس ومختلف المؤسسات الثقافية بتونس، وقد كان العلماء الجزائريون يدركون هذا التفوق في الحركة العلمية وقد عبر الشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته عن ذلك بقوله: " إنّ سلاطين تونس وأمرائها وأصحاب الدولة فيها صرفوا هممهم إلى العلم، وأقاموا منائر عزه، فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس، واعزوا العلماء، واغنوا للدرس الجلاس، فأسهموا كلا على قدر همته واشتغاله، فإذا كل شيء على أصله وفصله ومنواله، فمن لم يصبه منهم كثير، وصل إليه نزر قليل." وكان قد نصح طلابه :" فمن تمكن من تونس ووجد معينا على العلم تعليما وتعلما بأن ساعده الزمان والإقبال فرجع من غير قضاء وطره فذلك محروم." ويضيف قائلا :" حاصلة تونس نعمة لمن أقبل على الله واشتغل بما يعنيه علما وعملا." وعن جامع الزيتونة يقول :" إنّ الجامع المذكور قد انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والأذكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا على العلوم، فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين، فشمس أنوار الفهوم فيه مشرقة، وفوائده وعوائده محققة ومدققة، فهو جنة العارفين، وخلوة للمتعبدين

الناسكين، ومزارة للراغبين المشتاقين[1]." ومع ذلك نستشف من خلال المصادر المتوفرة أن بايات تونس لم يكونوا يعينون العلماء الجزائريون في المناصب الدينية والعلمية، كما كان يفعل بعض السلاطين السعديين، ومع ذلك فقد أكرم بعض البايات بعضا من العلماء الجزائريين، وأظهروا لهم الكثير من التقدير والاحترام[2].

إذ تعج كتب التراجم بأسماء العلماء الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة أو درَّسوا بها، فيمكن التصنيف بين صنفين من العلماء الجزائريين، صنف أول خيّر البقاء في تونس والاندماج في فئة علمائها، وصنف ثان هاجر بصفة مؤقتة لطلب العلم ثم رجع لبث ما حصل عليه بالجزائر[3]. ومن العلماء الذين استقروا بالبلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد هاجر إليها القاضي أحمد العوادي، وينحدر من قبيلة العواودة بجهة قسنطينة، وقد تولى التدريس بالجامع الأعظم ثم تولى خطة القضاء بماطر 1828م، و وكذلك الشيخ محمد بن احمد الشريف الحسني من بلاد زواوة المولود 1063هـ/ 1652م، والذي هاجر إلى تونس 1093هـ/ 1682م، وأخذ عن علمائها منهم الشيخ أبو الحسن الغماد، ثم تصدى للتدريس بجامع الزيتونة وتخرج عنه الكثير من الطلبة كما تولى القضاء بماطر[4]، من بين المشايخ كذلك الشيخ الولي محمد الباشير وأصله من بلاد زواوة، وكان له التدريس بتونس وقرأ عليه المؤرخ أحمد ابن أبي الضياف تفسير ابن الفرس، وقد توفي محمد الباشير بتونس سنة 1827 م وبنيت على قبره زاوية[5].

- **الرحلات إلى بلد المشرق:**

---

[1]– الحسين، الورتيلاني: الرحلة الورثلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،ط1، مكتبة الثقافة، القاهرة، ، 2007، ص،ص: 763، 765.

[2]–فوزية، لزغم: العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671–1830 ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مجلة الخلدونية، العدد 12، 2020، ص: 96.

[3]–دلندة، الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، 2003، ص: 303.

[4]– –فوزية، لزغم: العلماء الجزائريون بتونس خلال عهد الدايات 1671–1830 ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، مجلة الخلدونية، العدد 12، 2020، ص،ص: 97، 98.

[5]– دلندة، الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، 2003، ص: 303، 304.

اهتم العلماء بتدوين رحلاتهم إلى الحجاز للحج والزيارة، لارتباطهم الديني بالأماكن المقدسة ولما تحتله من مكانة روحية لدى المسلمين، وكان التماس جوار الرسول صلى الله عليه وسلم من كبرى أمنيات الجزائريين،

كما كانت مصر والشام مطمعا للهجرة، بل أنَّ هناك العديد من العلماء آثارها على وطنه وأقام بها وتزوج وتعلم وعلم فيها، فبلاد الشام لها مكانتها الدينية فهي ديار الأماكن المقدسة (المسجد الأقصى) باعتبارها مقر الأنبياء والأولياء[1]. إلى جانب التشابه في العوامل الطبيعية والمناخية والتقارب في العادات والتقاليد بين الشام والجزائر، بالإضافة إلى العامل المعرفي والعلمي في وقت ازدهرت فيه بلاد الشام ومصر بالعلوم الدينية واللغوية منذ القرن 6هـ/12م وانتشرت المدارس وحلقات الدراسة في المساجد وبخاصة في الجامع الأزهر بالقاهرة وجامع بني أمية في دمشق.[2]" إلى جانب العامل السياسي لاسيما في فترة الحكم العثماني حيث شدَّ الكثير من الجزائريين الرحال بسبب السياسة المعتمدة من قبل الحكام العثمانيين في الجزائر وبخاصة بالمنطقة الغربية أي تلمسان ونواحيها[3]"، إلى جانب الحروب الداخلية التي عرفتها المملكة الزيانية وضغط الأسبان بوهران وبني وطاس عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق، قد جعل الجزائريون ولاسيما العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهاد في الرأي والحياء السياسي، فما كان من العديد منهم إلاّ حمل أمتعته وأهله وترك البلاد، حتى يهدأ غبار الفتن والمعارك[4]. إلى جانب تورط بعض العلماء في المشاكل السياسية المحلية، كما حدث لعيسى الثعالبي في عهد الداي يوسف باشا وليحى الشاوي وابن الترجمان الذي قال عنه الجبرتي أنه كان ": أحد أذكياء العصر، ونجباء الدهر، وحاز أنواع الفضائل ..." وكل هؤلاء شدوا الرحال إلى المشرق[5]. فكان تواجدهم

---

[1]– ليلى، الصباغ: الوجود المغربي في المشرق المتوسطي، نقلا عن أبي السرور البكري: الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة، ص: 80.

[2]– المقري، التلمساني: نفح الطيب، ص،ص: 65، 66,

[3]– ليلى، الصباغ: الوجود المغاربي في المشرق المتوسطي، ص: 83.

[4]–ليلى، الصباغ، نفسه، ص: 83.

[5]–أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1...، ص: 430.

في مصر بالخصوص الطالبين للعلم حول مسجد ابن طولون بالإضافة إلى رواقهم الخاص في الجامع الأزهر، وعدد الجزائريين في مصر لم يكن قليلا في أوائل القرن 10ه/16م ولم يقيموا في القاهرة وحدها بل انتشروا في عديد المدن المصرية التي تضم المدارس كرشيد والمحلة والاسكندية، وهناك شخصية غريبة أخرى اختارت مصر مستقرا لها،فقد روى الجبرتي أن أحمد الجزائري ويسميه أبا العباس المغربي الذي كان من صحراء عمالة الجزائر قد دخل مصر صغيرا وتتلمذ على مشائخها، مثل علي الصعيدي، ومهر، كما يقول الجبرتي في الأدب والفنون، ثم أذن له في التدريس فصار يقريء الطلبة برواق المغاربة، وشاع أمره وذاعت أخباره لفصاحة لسانه وجودة حفظه. وبعد أداء الحج سنة 1185ه والمجاورة بالحرمين عاد إلى مصر وأصبحت له فيها مكانة عالية، وعظم أمره حتى أشير إليه بالمشيخة في الرواق ولكن تعصب البعض ضده، فلم يحصل له ذلك. وكل ما حصل عليه أحمد الجزائري هو نظارة المدرسة الجوهرية. وكان لذلاقة لسانه وكثرة أتباعه له خصوم أيضا. فقد قال عنه الجبرتي إنه كان يتقى شره و قد توفي سنة 1202ه . أما في بلاد الشام كان للمغاربة الزاوية المالكية في الجامع الاموي وزاوية أخرى في دمشق وكانت تسمى أيضا بزاوية المغاربة[1]، وكانت عامرة بهم في العصر الحديث، وامرهم فيها لا يختلف في جامع ابن طولون بالقاهرة. كما كانت لهم زاوية ببيت المقدس، كما فتح أمامهم باب الدراسة والتدريس في مدارس المالكية بدمشق كالمدرسة الشرابيشية والصالحية والصمصامية[2]، وكانوا منتشرين في مدن الشام كبيت المقدس، وطرابلس وحلب...

اذ تمثل الرحلات معلما بارزا في أدب الرحلة لدى علماء الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومن هذه الرحلات الرحلات الشعرية كقصيدة عبد الله بن عمر البسكري وقصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني وقصيدة عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المحاجي، أما الرحلات الحجازية النثرية أهمها رحلة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني المسماة" الروضة الشهية في الرحلة

[1]– ليلى، الصباغ : نفسه، ص: 84.

[2]– ليلى، الصباغ: نفسه، ص: 84.

الحجازية" عام 1762م، وفي نفس الفترة قام ابن عمار بتدوين رحلته المسماة " نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب" والتي لم يبق منها إلاّ المقدمة[1]. غير انه من أهم الرحلات الحجازية رحلة الحسين الورثلاني والمسماة " نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار" إذ تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير عن العالم الإسلامي في القرن 18م.

خ- العلماء المسلمون في الجزائر:

من الصعب تحديد عدد العلماء الوافدون على الجزائر خلال العهد العثماني، فالعالم الإسلامي كان وطنا واحدا يتنقل فيه العلماء من موطن إلى آخر، فالعلماء لا وطن لهم فهم حيث مصالحهم العامة والخاصة. وقد كان العلماء يترددون على الجزائر ويعملون فيها حتى قبل مجيء العثمانيين ومنهم الأندلسيين، كما رافق بعض العلماء الحملات العثمانية والباشوات الوافدين من اسطنبول وكان بعضهم موظفين رسميين كالقاضي الحنفي، وكان بعضهم يأتي دون تعيين طلباً للمال أو نشر العلم والطرق الصوفية[2].

ولم يكن كل العلماء الذين جاؤوا إلى الجزائر على جانب كبير من العلم والنزاهة، وقد ظل بعض رجال العلم يأتون إلى الجزائر فيتعاطون التجارة في بلدانهم فجاؤوا إلى الجزائر إما للاستمرار في التجارة وإما للتدريس بدلها. كما كان بعضهم من المغامرين والانتهازيين ودعاة للمذاهب السرية. وكان بعضهم قد استقروا في الجزائر ولم يعودوا إلى بلدانهم. فقد كانوا يتزوجون ويظلون مع أزواجهم وأطفالهم حتى بعد الانتهاء من الوظيفة التي عينوا للقيام بها - وقد ذكر ابن المفتي عددا من هؤلاء. ومن العلماء القادمين على الجزائر من لم يكن عالما بمعنى الكلمة وإنما كان في ركاب أهل العلم كالخطاطين والنساخين والوراقين وغيرهم. ففي النصف الثاني من القرن 11هـ/ 17م ورد على الجزائر أحد القضاة وهو القاضي المولى علي والذي كان يتمتع بشهرة دينية واسعة، فقد قال عنه إنه جاء إلى قسنطينة

[1]– دلندة، الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، 2003، ص،ص: 291، 292.

[2]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 433.

زمن السلطنة الأحمدية) أي السلطان أحمد1013هـ/ 1027هـ فهرع إليه عسكرها ووالیها وعظموه تعظيما لا نظير له، ونزل عند الفكون باعتباره " شيخ الإسلام" في قسنطينة وكانت له مكتبة ضخمة ينقلها معه وله مشاركة في علوم كثيرة، ومن قسنطينة توجه إلى الجزائر وأصبح له صيت عظيم، و بعد أن عرفت كانت السلطات العثمانية أغراضه نفته فذهب إلى تونس حيث توفي.

ومن الأتراك الذين وفدوا إلى الجزائر الشيخ مصطفى خوجة سنة 1168هـ/ 1754م وعين إماما لجامع خضر باشا مدة 18 سنة، كما تولى وظائف منها حامل الراية وكاتب التذكرات وشارك في الحرب ضد الأوروبيين أثناء حملة أوريلي على الجزائر وقد ألف بعض التأليف بالتركية عن الحوادث التي عايشها ومن ذلك كتاب " البتر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك" و" رسالة مضحكات وعجائبات" عن الصلح بين الجزائر واسبانيا. كما ارتبط محمد بن علي الخروبي الطرابلسي بالعثمانيين في الجزائر فكانوا يثقون فيه كل الثقة، وقد تولى السفارة بالمغرب لدى السعديين منها سنة 961هـ/ 1554م، لعقد الهدنة وتحديد الحدود، وكان الخروبي قد أخذ العلم بالجزائر أيضا حيث يذكر بعض من ترجموا له أنه درس على محمد بن عبد الله الزيتوني وأحمد بن عبد الرحمن زروق ومحمد بن مرزوق وعبد الرحمن الثعالبي وعن تلاميذ محمد بن يوسف السنوسي، كما تولى بعض الوظائف في الجزائر كالخطابة واشتهر بجمع الكتب وله مؤلفات معظمها رسائل وشروح لا تخرج عن الأوراد والطرق الصوفية.

أما من تونس الذين تولوا الوظائف في الجزائر في عهد الباشا محمد بكداش أبو حفص عمر بن محمد الذي تولى قضاء العسكر، كما أن محمد زيتون التونسي قد تولى القضاء الحنفي في زمن شعبان خوجة باشا، وجاء في رحلة ابن حمادوش بعض أسماء لعلماء تونسيين وردوا على الجزائر، وخصوصا محمد الشافعي الباجي، وكان محمد الشافعي وأحمد الأصرم القيرواني يبثان العلم في الجزائر مدة طويلة، وقد شرح الأول قصيدة محمد باي في المديح النبوي) شرحا بديعا في جزئين من

أمتع كتب الأدب، أما الفكون فقد ذكر المراسلات التي دارت بينه وبين بعض علماء تونس مثل القاضي إبراهيم الغرياني ومحمد تاج العارفين[1] .ومن الذين وفدوا على الجزائر الشيخ فتح الله من سوريا، وقد ولد بسورية ونشأ بها ثم رحل بعائلته إلى مصر. وبعد برهة لم يجد فيها ما كان يصبو إليه فرحل إلى الجزائر وسجل أولا في دفتر الباشا حتى يكون له نصيب من عطاياه باعتباره من العلماء الفقراء والغرباء وباعتباره أيضا ينتمي إلى المذهب الحنفي. ولعله وجد الزحام على المناصب القليلة شديدا في مدينة الجزائر فتوجه إلى قسنطينة التي كانت بحق العاصمة الثانية، وتزوج بها وسعدت حاله وابتسم له الحظ ووجد الأبواب مفتوحة، فأصبح قاضيا ومفتيا وخطيبا بقسنطينة في جامع القصبة وناظر مدرسة سوق الغزل ثم خطيب جامع سيدي الكتاني وظل في الوظيفة إلى وفاته[2]، يقال أنه وادعى أنه أستاذ في الفلك والأدب والحديث ونحو ذلك، وقد وصل به الأمر أن صار مفتي الحنفية عدة سنوات وتولى وكالة الأوقاف سنتين وقضاء الحنفية، وكان مجيئه إلى قسنطينة قبيل 1185هـ

كما كان لعلماء المغرب حركة واسعة في الجزائر ذلك أنّ المنازعات السياسية على الحكم في المغرب كانت تؤدي ببعض العلماء إلى البحث عن الهدوء والاستقرار في الجزائر، كما حدث لعلي بن واحد الأنصاري وأبي القاسم الزياني. كما أن مجالات العمل كانت مفتوحة أمامهم، ذلك أنَّ العثمانيين كانوا يفضلونهم على الجزائر لأسباب سياسية تقضي تقريبهم وكسب ودهم ليوم الحاجة، كما أنّ أهل المغرب كانوا يتخذون من الجزائر طريقا للحج بحرا برا، وكثيرا ما كانوا ينزلون بالمدن الجزائرية ويسألون عن العلماء ويختلطون بالنّاس وكان بعضهم يأتون إلى الجزائر في مهمات دبلوماسية مثل وفادة الوزير الغساني وأخمد الغزال، كما أنّ سمعة بعض علماء الجزائر كانت تجلب إليهم الأنظار كما فعل ابن زاكور. كما أنّ بعض العلماء كانوا يمارسون التجارة أو ينشرون الطرق الصوفية، كما أنَّ اختلاف النظم السياسية بين المغرب والجزائر كان رحمة للعلماء، فبقدر ما كان سلاطين المغرب يقربون علماء

[1]– أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 437.

[2]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 437.

الجزائر ويعطونهم مثاقيل الذهب ويوفرون لهم الكساء والسكن والاحترام، بقدر ما كان باشوات الجزائر يستقبلون بعض علماء المغرب ويقدمون لهم المال و الوظيفة والوجاهة. فعلي بن عبد الواحد الأنصاري جاء هاربا إلى الجزائر من الأوضاع السياسية، وكذلك المؤرخ والوزير القاسم الزياني الذي استقر بتلمسان، ومحمد الحاج رئيس الزاوية الدلائية فقد جاء رفقة أولاده من تلمسان حين قضى السلطان الرشيد بن الشريف على الزاوية وفرق جموعها وزعماءها. وقد قيل إن محمد الحاج قال لما دخل تلمسان كنت وجدت في بعض كتب الحدثان أني أدخل تلمسان فظننت أني أدخلها دخول الملوك فدخلتها كما ترون وقد توفي بها سنة 1082هـ ، والتمغروطي لم يقم في الجزائر طويلا ولم يتول فيها الوظائف كما لم يأتها غاضبا سياسيا ولا مفاوضا دبلوماسيا وإنما جاءها مارا أثناء سفارته لإسطانبول، ومع ذلك لقي بعض علماء الجزائر ووصف أحوالها المادية والسياسية. ولعل من مهمته السرية تقديم تقرير عنها أيضا إلى سلطانه. وعلى أية حال فإذا حكمنا مما كتب التمغروطي عن الجزائر فإن تقريره عنها سيكون غير مشجع للسلطان على حربه[1]، وكذلك الشيخ محمد التواتي الذي كان يلقب بسيبيويه النحو ، لدرايته بعلم النحو قد رحل إلى الجزائر وهو عالم بالنحو والمنطق والبيان والأصول. وقرأ بزواوة وتولى التدريس في قسنطينة واشتهر أمره حتى قصده الطلاب من مختلف جهات القطر. وكان - حسب رواية الفكون - بعيدا عن الولاة يعيش من دروسه ومن حب تلاميذه له. ومن أشهر من تخرج عليه عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية، فهو الذي حبب إليه النحو حتى أصبح بدوره أستاذا فيه [2] . فقد ورد على الجزائر من فاس علماء كان وجودهم بها خيرا وبركة، وكانوا في مهمات نبيلة. ومن هؤلاء عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي. فقد مر بالجزائر أثناء الحج ولقي بعض علمائها وتبادل معهم الرأي في بعض المسائل العلمية أمثال خليفة بن حسن القماري الذي لقيه في بسكرة سنة1193هـ ، وقد اشتهر الشيخ خليفة بنظمه لمختصر خليل، وكان من عادة القماري

[1]– أبو القاسم، سعد الله، نفس المرجع، ص: 440.

[2]–أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص: 440.

الخروج من قريته قمار لملاقاة ركب الحج المغربي فيأخذ من علمائه ويأخذون منه. وفي السنة المذكورة اجتمع الرجلان وأطلع القماري زميله الفاسي على نظمه للمختصر فقرظه وأثنى عليه، وكذلك فعل الناصري الدرعي، صاحب الرحلة الكبرى، سنة1195هـ، حين التقى أيضا بالشيخ القماري في سيدي عقبة وقرظ نظمه وأشاد به[1].

فالحركة العلمية الواردة على الجزائر من المغرب كانت في جملتها بركة على الجزائر، فكل عالم كان مدرسة متنقلة ومكتبة مفتوحة، فحركتهم كانت بمثابة وسائل الاتصال التعليمي وتبادل الخبرات والكفاءات.

2- رجال التصوف والطرق الصوفية:

أ- الأولياء الصالحون والطرق الصوفية وموقف العثمانيون من رجال التصوف:

✓ **حركة التصوف قبل العهد العثماني:**

الطرق الصوفية في الجزائر لم يقتصر انتشارها على منطقة معينة من الجزائر بل شملت الجزار ككل، فتلمسان شهدت على مرور الأزمنة ظهور الكثير من المتصوفة من ذوي المكانة ووزن الإجتماعي الذين شغلوا مناصب مهمة، فكان من هؤلاء أعيان للمدينة[2]، وكذلك الحال ببجاية التي اعتبرت مركز إشعاع طرقي فترة طويلة[3]. كثر أهل التصوف قبل مجيء العثمانيين، فكل من عبد الرحمان الثعالبي (1379-1471م)ومحمد الهواري و ابراهيم التازي (1379-1471م)ومحمد بن يوسف السنوسي (1428-1490م)... كانوا من أبرز المتصوفة، وهناك من عاصر العهد العثماني أمثال : أحمد بن يوسف الملياني ومحمد آفغول ومحمد بن شعاعة ومحمد التواتي البجائي... فلقد كان الأتراك في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية، فالطريقة البكداشية كانت

[1]– أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 443.

[2]– ابن مريم، الشريف: البشتان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص: 73.

[3]– جاب الله، الطيب: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، معارف العدد 14، 2013، ص: 136.

تقودهم إلى الجهاد فكانوا يدينون بالولاء لها ويتبركون بها، ثم تعددت الطرق الصوفية وانتشرت بينهم كالطريقة النقشبندية والقادرية والمولوية، التيجانية، الطيبية، الدرقاوية والزيانية وعرفت انتشارا في الغرب الجزائري، أما المنطقة الشرقية فقد تركزت فيها : الرحمانية، الحنصالية، والشابية، والقادرية الشاذلية، والمعلوم أن الطريقة القادرية كانت قد ساندت الوجود العثماني في الجزائر في بداياته.

إن المتتبع للطرق الصوفية وشيوخها يلاحظ بلا شك دورها البارز في التأثير على حياة المجتمع الجزائري، جراء مرتكزاتها وما قدمته من وظائف، بحيث أنّ أهم صفة ارتكزت عليها الشخصيات المتصوفة الصلاح والتقوى، إلى جانب هذا فبعض المتصوفة ينسبون أنفسهم إلى آل البيت ما جعلهم محل احترام وتوقير من قبل الأهالي[1].

وكان المبرر الديني دافعا لظهور العثمانيين في الجزائر بسبب الحروب الصليبية بقيادة اسبانيا ضد الجزائر، وكان حلفاؤهم المرابطين، إذ أنّه أمام الضعف السياسي للدولتين الزيانية والحفصية لم يبق أمام المرابطين إلاّ الاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن أراضيهم وتجلى ذلك في موقف عبد الرحمان الثعالبي لما دعا أهل مدينة الجزائر للجهاد، ولما راسل أهل بجاية يحثهم على الاستعداد للحرب، وكذلك الشيخ التواتي كان يحمي مدينة بجاية من الإسبان وأنّ زاويته كانت ملجأ للمجاهدين، ولما توفي الشيخ سقطت المدينة وفرَّ منها الأمير الحفصي.

كان لتعاليم أبي الحسن الشادلي أثر كبير في الجزائر الذي تأثر بتعاليم عبد السلام بن مشيش تلميذ أبي مدين، ومن أتباع الطريقة الشاذلية الشيخ واضح ومحمد الهواري وابراهيم التازي ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الثعالبي واحمد المليانى ... ولهذا يمكننا القول أنّ الجزائر قبل العثمانيين كانت من الناحية الصوفية تحت نفوذ الطريقتين الشاذلية والقادرية. فقد ألف عبد

[1]– العجيلي، التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، المجلد2، منوبة، منشورات كلية الأدب، ص: 36.

الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي كتبا غزيرة وكانوا أقرب إلى الفقهاء من المتصوفة مطلعين على أحوال العصر، وكلاهما قد تصدراَ التدريس، وقد انتشر التصوف في المدن كبجاية وتلمسان ووهران وقسنطينة والجزائر ... ولكن مع ضعف الإدارة المركزية والأحوال السياسية وانتشار الفساد، تمحورت حركة التصوف في الأرياف وأسس أتباع المرابطين زوايا لهم داخل البلاد والتي أصبحت ملتقى لنشر العلم والأخلاق الفاضلة والدعوة للجهاد لتتولى الزوايا مسؤولية كانت من قبل من اختصاص الدولة.

- ✓ **موقف العثمانيين من رجال التصوف:**

اتبعت الدولة العثمانية لتوسيع نفوذها وتثبيت حكمها عدة سياسيات تتوافق معها ومع المجتمعات التابعة لها، فالعثمانيون لم يلتزموا بنظام خاص، بل تبنوا في الغالب ما وجدوه قائما من نظم وقوانين مخلية في مختلف ولاياتها ومن بينها الجزائر. فبعد أن تمّ لهم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1519م، أيقن العثمانيون أنّ تثبيت حكمهم بها واستمراريته مرتبط بمدى تقربهم من القوى الأكثر فعالية وتأثرا آنذاك، وهم شيوخ الطرق الصوفية لما لهم من حضور ديني واجتماعي كبير وحتى سياسي، إلى درجة انّ هذه الفئة أضحت قوة حيوية أطرت المجتمع ودعمته في محاربة التحرشات الاسبانية، فالدارس للعلاقة بين العثمانيين ورجال طرق التصوف في الجزائر يجد ان الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية، هل الفاعل الأساسي المتحكم في طبيعة هذه العلاقة.

كانت هناك ثقة متبادلة بين العثمانيين والمرابطين، ومن ذلك تحالف الأتراك مع أحمد بن يوسف الملياني، كما حافظ هؤلاء احترامهم له ولطريقته وأولاده وأتباعه، كما أنّ خير الدين باشا قد أرسل من الجزائر بعد نجاح العثمانيين بهدايا ثمينة إلى أحمد بن يوسف، فبارك الشيخ عمله ثم عاد ابنه وهو الشيخ ابن مرزوقة إلى الجزائر فأهداه خير الدين الهدايا واعترف به خليفة لوالده في رئاسة الطريقة الشاذلية. وكان من أتباع الملياني و تلاميذته محمد بن شعاعة وكان متعاونا مع الأتراك

وكانوا يعظمونه ويعفونه من الضرائب ويعطونه من جزية أهل الذمة، كما أوقفوا عليه الأوقاف[1]. وكذلك محمد بن عبد الجبار الفجيجي المتوفي سنة 950هـ فقد تعاون مع العثمانيين اقتداء بشيخه المليانى فقد كانت له زاوية بمنطقة تاسالة جعلها وقفا على المريدين الذاكرين[2]، واتبع العثمانيون مع الشيخ محمد بن المغوفل نفس الطريقة وكان من مشاهير صلحاء شلف في القرن 10هـ/ 16م وخلال رغبة العثمانيون في الاستيلاء على تلمسان طلبوا منه التوجه معهم فرفض وأرسل معهم ولديه كعلامة على التأييد.

شاع في الجزائر تحالف العثمانيين والمرابطين، فكثرت الأضرحة والقباب ودخلت الطرق الصوفية من المشرق إلى المغرب، فلا نكاد نجد مدينة أو قرية دون العديد من الزوايا والأضرحة، وأصبح العلماء يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرقة والسبحة ... وأصبح الحكام يُظهرون الاحترام والتبجيل لأهل التصوف. ومن مظاهر سياسة التقرب التي انتهجها الحكام اتجاه الشيوخ إلى جانب التبرك بهم أنهم كانوا ينذرون بمنحهم الهبات في حال ما حققوا النصر في الحرب، فمثلا باي قسنطينة حسين بن صالح أخذ على نفسه نذرا في حالة انتصاره على حمودة باشا باي تونس أن يصلح مسجد الشيخ سيدي علي العريان، والسيد محمد بن سي السعيد ويموله بوقفه، وفي المقابل يدعو له بصالح الدعاء[3]، وظاهرة التبرك بالشيوخ في زواياهم بالقباب قبل القيام بالحروب هي عادة موروثة عن آبائهم وأجدادهم في الأناضول ، ما يفسر لنا الاعتقاد الراسخ بالطريقة لديهم. بل أن بعض الحكام العثمانيون اتخذهم كمعتمدين كسفراء لهم في الدول المجاورة فنجد انهم أرسلوا الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي كممثل لهم لدى حاكم المغرب الأقصى[4]، كما نجد أنّ خير

---

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 466.

[2]– ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 287.

[3] –Féraud, L : Un vœu d'Hussein Bey Constantine 1807, Revue Africain7 Janvier 1867, P,P :81

[4]–بكاي، رشيد: تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، العدد8، ديسمبر 2011، ص: 209.

الدين بربروس منح احد أقارب المليانى المدعو محمد بن مرزوقة وظيفة أمير الحجاج والذي يحمل الصرة إلى الحرمين[1]. فالسياسة العثمانية اتجاه الطرق الصوفية اتصفت بالاحترام لدرجة أنّ من يلجأ لهم هروبا من المتابعة يُعفى ولو كان صاحب منصب مهم وعقوبته الموت، فمثلا لما طلب الشيخ محمد الساسي البوني من يوسف باشا العفو على أهالي عنابة بعد التمرد، وافق على ذلك رغم صعوبة الأمر، وتخوفه من ان يفسر هذا العفو بضعف من السلطة الحاكمة، غير انه احتراما للشيخ محمد الساسي عفا عنهم. ولم تقف الامور عند هذا الحد فكثيرا من الحكام تزوج من أسر الشيوخ المتصوفة فالداي حسين كان قد تزوج من حفيدة يوسف المليانى[2]،

ومع ذلك عارض بعض رجال الدين التسلط العثماني، في حين وقف البعض موقفا وسطا يؤيدونهم كمسلمين مجاهدين، وممن عارضوهم أحمد بن ملوكة التلمساني، فبعد أن اطلع على ما ارتكب عروج عند احتلال تلمسان من فظائع وبعد خروج عروج إلى جبال بني سناسن خاف أهل تلمسان من عودته والانتقام منهم من جديد، فلجأوا إلى الشيخ واشتد غضبه حتى ضرب الأرض بيده وهو يدعو :" اللهم لا تعده إلى تلمسان ! انْ اتكالنا عليك" وتذهب الرواية انّ الله استجاب إلى دعاء الشيخ إلاّ أنّ عروج مات مقتولاً. وكذلك سجل سخط الشيخ للُّو على القائد حفيظ حاكم تلمسان العثماني وخروج الشيخ من تلمسان تماماً وكذلك ضيّق العثمانيون على الشيخ احمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية.

ومن أصحاب الموقف الوسط الذي أيدوا العثمانيين ولم ينقموا عليهم الشيخ العبدلي الذي كان يعظ الحكام، كما نذكر أنّ باي قسنطينة حسن بوحنك كان لا يعتقد بالأولياء فلقيه المرابط الشيخ الشليحي فوقعت له معه كرامة، فما كان من الباي إلاّ أنْ تراجع عن موقفه من الأولياء وأعطى

[1]– سعودي، أحمد: الإدارة العثمانية في الجزائر والقوى الروحية – الطرق الصوفية– بين التوائم والتصادم، مجلة حقائق للدراسات النفسية والإجتماعية، العدد 9، مارس 2018، ص: 60.

[2]– صادق، محمد حاج: مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص: 105.

للمرابط الشليحي قصرا في المكان المعروف باسم الأربعين شريف، والذي أصبح يعرف باسم دار الشليحي، كما أنشأ الباي له زواية في أولاد عبد النور وأعفاه من الضرائب.

فالعقيدة اتجاه المرابطين كانت قوية فالبحارة عندما كانوا يخرجون للغزو كانوا يقصدون الأولياء الصالحين لنيل بركاتهم وكانوا يطلقون عندما ذهابهم إيابهم طلقات مدفعية احتراما لهم، وإذا هرب أحد الجناة إلى قبة أو ضريح ولي فإن اللاحقين به يتوقفون عن ذلك ولا يتبعونه.

و قد عرف عن الباي محمد الكبير أنّه اعتنى ببناء مقام الولي سيدي امحمد بن عودة والولي سيدي أحمد بن يوسف المليانى، وكان بايات قسنطينة يعفون عددا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب ومنها زواية عبد الرحمان الأخضري في بنطيوس ببسكرة، وقد عرف عن العثمانيين أنهم كانوا يكثرون الهدايا لرجال الدين بالخصوص المرابطين إرضاء وتقربا لهم.

والمتتبع للسياسة العثمانية تجاه مشايخ الصوفية يلاحظ أنها لم تقتصر على بدايات عهدهم بل استمرت معهم، إذ نجدهم في القرن السابع عشر ميلادي اتفقوا مع أسرة المقراني على توليتهم مهمة جمع الخشب من بجاية ونقلها إلى مدينة الجزائر، في المقابل يحافظون على إدارة اقليهم وأصبحوا يزاحمون بهذا حتى البايات في أقاليمهم، حيث اقتطع الداي سنة 1682م إقليم مجانة من باي قسنطينة ومنحه لهذه الأسرة[1]، وكذلك استمر الحاج أحمد باي على ختم الوثيقة التي تنص على احترام وتوقير عائلة الشيخ عبد الرحمان الأخضري (1515-1545م)[2] حتى بعد وفاته.

عرفت العلاقة بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية تدهورا كبيرا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فبعد عقود من التحالف والتعاون بدأ الخلاف يدب بين العثمانيين ورجال التصوف، حتى وصلت العلاقة بينهم إلى القطيعة والمواجهة المباشرة، ويرجع ذلك إلى :

---

[1]–سعودي، أحمد: نفس المرجع، ص: 63.

[2]– الحسني، عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر من البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 2006،ص: 191.

التطور الذي عرفته الطرق الصوفية في الجزائر، فأصبحت مؤسسات اجتماعية تقدم خدمات للفرد والجماعة على حد سواء[1]، وتؤطر الريف الجزائري وأحسم مثال علة ذلك ما قامت به الزاوية الرحمانية سنة 1770م، في اغيل علي بمنطقة القبائل حيث قامت بتزويد السكان بالحبوب من مطاميرها الخاصة، وقدمت زاوية منعة الرحمانية أيضا البذور للفلاحين أثناء فترات الجفاف[2]. في وقت تعاظمت فيه دور الطرق الصوفية تراجع دور السلطة العثمانية وهذا ما ازعج الحكام العثمانيون وأثر في علاقتهم برجالات التصوف[3]، ومما زاد في نفور الطرق الصوفية ونقمتهم على السلطة العثمانية، إسقاط البايات إمتياز عدم دفع الضريبة عن شيوخ الصوفية بعدما كانوا لفترة طويلة معفون من الضرائب والأعشار وكل الواجبات المخزنية، بل كنوا يحصلون على جانب من الضرائب[4]، وهذا ما أدى إلى الانفصال بين الطرفين وفقد التحالف العثماني الصوفي دعامته الأساسية.

وقاد ثار رجال التصوف بعد ازدياد شكاوي القبائل ضحايا ظلم البايات وسياستهم الضريبية ولما اجتمع عليهم ذلك أدى بهم ذلك إلى القول:" نذهب عند النصارى ولا نجاور الترك فتجمع علينا الجوع والقتل[5]"، ليصبح دور شيوخ الزوايا تقليدي كوسيط مهدئ للرعية، ويفسر رجال الطرق الصوفية الثورة في هذه الفترة أنّ العثمانيين حلفائهم السابقون أخلوا بالقاعدة الدينية التي تتمثل في العدل والمساواة. في وقت عرفت فيه بعض الطرق الصوفية ذات المنشأ المغربي في الناحية الغربية

---

[1]–عبد لسلام، موكيل: الطرق الصوفية في الجزائر بين المقتضيات الروحية والأدوار الاجتماعية، مجلة تنوير، العدد الثالث، الجزائر، 2017،ص: 84.

[2]– عبد القادر، صحراوي: الدور السياسي والعسكري للطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (16م–19م)، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 3–4، الجزائر، د،ت،ن،ص: 33.

[3]– رشيدة، شدري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، فترة الدايات 1671، 1830، رسالة ماجستير، الجزائر، 2006، ص: 143.

[4]– توفيق، دحماني: الضرائب في الجزائر 1792– 1865، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، الجزائر، السنة الجامعية، 2007–2008، ص: 444.

[5]– ابن هطال، التلمساني: رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م، تح، محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، الجزائر، 1970، ص:75.

بالخصوص وعلى رأسها الطريقة الدرقاوية والتي حافظت على علاقتها بالطرق الصوفية الموجودة بالمغرب الأقصى، والتي بدأت تستجيب لأراء الأشراف المغاربة، أما العامل الأساسي الذي يعتبره المؤرخون السبب في القطيعة بين العثمانيين والصوفيين فهو فتح وهران وطرد الأسبان 1792، حيث يعتبر استرجاع وهران نقطة تحول في التحالف الذي جمع الطرفين وتراجع دعامته الأساسية المتمثلة في الجهاد ومواجهة العدو المشترك المتمثل في الأسبان. والتي نتج عنها القمع والمراقبة والسجن والقتل التي انتهجها العثمانيون ضد العلماء بصفة عامة ورجال التصوف بصفة خاصة وذلك خوفا من زيادة استقطابهم لمزيد من الأنصار والمؤيدين ففي أيام الباي حسن أخر بايات وهران ازداد القمع ضدهم ولاسيما إثر اندلاع ثورة درقاوة والثورة التيجانية، يقول المزاري في هذا الصدد عن كيفية تعامل الباي حسن مع رعيته ":... واجترأ على العلماء والأولياء والشرفاء والرعية، فبان منه الظلم والجور والتعدي، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردي وطغى وتجبر..."[1] ، فلقد أقدم الباي حسن على قتل الكثير من العلماء والفقهاء، ورجال الصوفية من بينهم محمد البوشيخي وعلقه مع خشبة بوهران، وقال :" هذا جزاء من يريد الظهور والإعلان[2] ، كما قتل عبد الله بن حواء التجيني الدرقاوي وفرقان الفليتي[3]، كما تعرض الشيخ سيدي المداني ابن عطاء الغريسي والحاج المفوق الكبير بن سعيد الشرقراني لمختلف أشكال المتابعة والقهر والتضييق من قبل الباي خليل الذي وعدهما بالقتل حال رجوعهما من سفرهما[4]، كما حاول قتل الشيخ أبو ترفاس*، حيث يقول الزياني في هذا

---

[1]– الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص: 350.

[2]– نفس المصدر، ص: 361.

[3]– نفس المصدر ،ص: 350.

[4]– محمد، الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 2013، ص: 197.

*: الشيخ أبو ترفاس: عالم وفقيه كانت له زاوية مشهورة بنواحي العين الكبيرة– ندرومة– ذكرت المصادر أن هذا الشيخ هو من دعا على الباي خليل فاستجاب الله له، حيث أصيب بعلة يقال لها داء الشهدة وهي حبة عظيمة أصابته بين كتفيه إدت إلى وفاته بتلمسان. ينظر:

الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود ... ج1، المصدر السابق، ص،ص: 287، 288.

الصدد:" بعدما غزاه الباي خليل بمدشرة بالساحل وأخذ قيطنته وفرق طلبته، وهم بفلتة لولا أنّ الله عصمه منه ..."[1] ومن أفظع ما قام به الباي حسن قتله للشيخ بلقندوز القداري التجيني سنة 1829 أمام طلبته[2]. بالإضافة إلى سياسة القتل والاضطهاد مارس العثمانيون في أواخر عهودهم سياسة النفي والتهجير القصري للعلماء ورجال الطرق الصوفية، فقلد أدت سياستهم إلى خروج الشيخ الشارف بن تكوك إلى المغرب الأقصى بعد مقتل شيخه بلقندوز[3]، كما هاجر الكثير من أتباع الطريقة الدرقاوية بعد الاضطهاد على اثر فشل انتفاضاتهم وفي ذلك يقول الزياني:" وصار مهما ظفر بأحد من درقاوة بادر للانتقام منه بأي نوع شاءه ولم يقبل منه شفاعة شفيع، وابتدع قتلا لم يبتدعه أحد من الملوك من قبله وهو فعل شنيع ونوع عذاب من يظفر به إلى أنواع فمنهم من يأمر بإخراجه للسوق ودق أعضائه حيا شيئا فشيئا بالمعاول إلى أن يموت ومنهم من يأمر بإقلاع عينيه وتركه أعمى، ومنهم من يأمر بقطع أعضائه فإن مات وإلا أجهز عليه فيموت في سجنه ومنهم من يأمر بقطع بذبحه.... ومنهم من يامر بشنقه، إلى غير ذلك من الأنواع المختلفة[4]." إلى جانب الإهانة والإذلال مثال ما تعرض له أحمد مرابطي تسالة على يد الباي محمد الكبير، حيث أهانه بأن جعله على ظهر حمار أخذ يطوف به معسكر المحلة، بعد إلقاء مسؤولية إحداث اضطرابات بمنطقة تسالة عليه. إلى جانب المضايقات التي تعرضت لها شيخ الطريقة القادرية* محي الدين والد الأمير

---

[1]–محمد الزياني: نفس المصدر، ص: 198.

[2]– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص: 362.

[3]–ابن سحنون، الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 51.

[4]– محمد، الزياني: نفسه، ص: 227.

*: تعود حيثيات القضية إلى شهر أكتوبر 1823 عندما غادر الشيخ محي الدين وولده عبد القادر القيطنة لأداء فريضة الحج وقد رافقهم عدد كبير من النّاس، وقد منع الباي حسن الشيخ من متابعة رحلته حيث أمره بالعودة فورا إلى وهران، وقد قرر الشيخ محي الدين العودة رغم كثرة التوسلات والإلحاح من مريديه وقال :" ... إن من واجبي أن أطيع وأن أذهب حتى ولو كلفني ذلك حياتي"، وهذا حقنا للدماء لأنه كان يدرك مصيره ومصير أتباعه في حالة تحدي الباي حسن الذي كان يتحين الفرص للقضاء عليه، والذي افصح عن ذلك في احد المجالس التي عقدت لتقدم التبريكات بعد انتصاره على الطريقة الدرقاوية حيث قال لجلسائه مشيرا إلى الشيخ

عبد القادر من قبل الباي حسن، من خلال وضعه رفقة ابنه عبد القادر تحت الحراسة والإقامة الجبرية في وهران خلال توجهه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج[1].

ومن أبرز الثورات على السلطة العثمانية غي الجزائر :

ثورة الدرقاويين: وكان مركزها في جبال الونشريس وجنوب التيطري ولها عدة أتباع في الغرب الجزائري ولها علاقات وطيدة مع السلطة الحاكمة في المغرب الأقصى، ولقد ابدى الدرقاويون مقاومة عنيفة للعثمانيين حتى صار تعبير عاصي يوازي تعبير درقاوي. وكانت في الشرق الجزائري بزعامة ابن الأحرش*[2]. وبعد أن اجتمع حوله الأنصار والمؤيدين بالخصوص مناطق الوادي الكبير وجبال زواغة وناحية وادي الزهور، كأولاد عيدون وبني مسلم وبني خطاب، الذي كان له عليهم سلطان ونفوذ قوي، لدرجة أن أصبحت كلمته عندهم مطاعة مستجابة[3]، كما حظي ابن الأحرش بتأييد مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي ميلة الشيخ الزبوشي وابن بغريش والشيخ مولاي الشقفة[4].

محي الدين :" نحن لا نخشى ابن الشريف وأمثاله، وإنما نخشى من صولة هذا ولولا تدخل بعض أعيان المخزن لصالحه لكاد أن يهلك ."

ينظر :

محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر...، ج1، ص،ص: 76، 77.

[1]– شارل هنري شرشل: حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص: 42.

*: هو الشيخ الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش المعروف بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين، وعرف عند البعض بالشريف المغربي، وقد ذكر عنه انه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب وذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أنّ انتسابه إلى المغرب الأقصى لا يعني فعلا من المغرب، بل جرت العادة في هذه الفترة على ان كل غريب يدعي النسب الشريف إلى الأدارسة بالمغرب الأقصى.

ينظر:

الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى آواخر القرن التاسع عشر، تح، يحي بوعزيز، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009، ص، 300.

وكذلك:

ناصر ،الدين سعيدوني: ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، مجلة الثقافة، العدد 78، نوفمبر– ديسمبر 1983، ص،ص: 215، 216.

[3]– محمد صالح، العنتري: مجاعات قسنطينة، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 29.

[4]– صلاح، مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها، نشاطها، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص: 153.

ليبغ عدد أنصاره حسب ابن مبارك 100 ألف رجل قادرين على حمل السلاح[1]، فتمكن سنة 1802م من مهاجمة الحامية العثمانية في جيجل وتمكن من هزيمتها وتمكن أيضا من السيطرة على كل السواحل الممتدة من جيجل إلى عنابة بعد انسحاب الحاميات الانكشارية القليلة العدد منها. إلى ان قرر ابن الأحرش إعلان الثورة رسميا باسم الجهاد المقدس ضد السلطة العثمانية في بايلك الشرق وتأسيس حكومة اسلامية تقوم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، وتحرك بقواته في شهر ربيع الأول من عام 1219هـ/ وما بين 10 إلى 20 جوان 1804م لمهاجمة عاصمة البايلك قسنطينة في ظل غياب الباي عصمان الذي كان مشغولا بجمع الضرائب[2]. غير أن ابن الأحرش لم يتمكن من اقتحام المدينة الذي فقد الكثير من جنوده، وفي معركة واد الزهور قتل الباي عصمان و 500 فرد من جيشه النظامي واستيلاء المتردين على محلته بما فيها، تم القضاء على ثورته في فترة الباي عبد الله بن اسماعيل 1804م، اين تمكن الباي الجديد من هزيمة ابن الأحرش والقضاء على تورثه وتبديد أنصاره فزالت هيبته من أعين الناس وفر إلى الغرب أين التحق بثورة الشريف الدرقاوي وبعد أن مكث هناك بعض الوقت وتخلص منه هذا الأخير بقتله[3].

أما في الغرب الجزائري فكانت بزعامة الشريف الدرقاوي* حيث كان مجالها أوسع وأخطر، والتجأ إلى القبائل الصحراوية وكانوا يشتكون إليه ظلم الأتراك، واستغرقت عملية الإعداد والتحضير للثورة

---

[1]– أحمد، مبارك: تاريخ حاضرة قسنطينة، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 29.

[2]– نصر الدين، سعيدوني: ثورة ابن الأحرش ...، نفسه، ص: 203، 204.

[3]– حنيفي، هلايلي: الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 20، الجزائر، 2006، ص: 200.

*: وهو الشيخ محمد عبد القادر ابن الشريف الفليتي يعود أصله إلى قبيلة بربرية هي كسانة القاطنة عند ضفاف وادي العبد جنوب سهل غريس من مدينة معسكر، قال فيه الزياني: " انه عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي بليل السكاني قاطن واد العبد، تلقى تعليمه في مسقط رأسه في زاوية القيطنة التابعة للطريقة القادرية والتي كان على رأسها الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، ثم رحل إلى المغرب الأقصى حيث درس ببني زروال بزاوية الشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي لقنه مبادئ الطريقة الدرقاوية بعدما أجازه وعينه مقدما للطريقة، عاد ابن الشريف الدرقاوي إلى مسقط رأسه أولاد بليل أين أسس زاوية للتدريس وتلقين أوراد الدرقاوية للراغبين فيها، و اشتهر هناك بزهده وورعه ولم يلبث أن غير مظهره فلبس المرقعة وركب الكلخ وعلق الببوش والقرون وابتدع أمورا يرفضها الدين والعقل.

مدة خمس سنوات من 1800 إلى 1805، كانت أولى المواجهات مع الباي مصطفى الأعجمي على ضفاف وادي مينا، بقرية فرطاسة في ربيع الاول 1805، هزم فيها الجيش العثماني، حيث سيطر الثوار على معسكر واتخذوها قاعدة لهم[1]، ومن تم راح الدرقاوي يوجه نداءاته إلى كل القبائل لتعلن الجهاد ضد العثمانيين وكل من يواليهم، فاستجابت الحشم والزمالة والدوابر، واحكم الدرقاوين سيطرتهم على كل بايلك الغرب وامتد التمرد من مليانة إلى غاية تلمسان، وتمّ اجبار معظم الحاميات العثمانية الموجودة في تلك المدن على الانسحاب إلى المناطق الساحلية. وقد واصل الدرقاوين ثورتهم إلى ان وصلوا إلى أبواب وهران وفرض عليها الحصار ليعزل الباي مصطفى العجمي ويعين محمد بن عثمان المقلش على بايلك الغرب، والذي تمكن من كسر الحصار على وهران بالتصدي للدرقاويين، إلى حين إخماد ثورتهم نهائيا، أما الشريف الدرقاوي فبعد فشل محاولاته في عقد تحالفات مع الدرقاويين انتقل إلى قبيلة بني يزناسن على الحدود المغربية ومن هناك توارى عن مسرح الأحداث السياسية.

الثورة التيجانية:

استطاع أحمد التيجاني* في فترة ثمانية سنوات أن يرسي قواعد طريقته في الصحراء وتوات والسودان وتونس، فكانت السلطة العثمانية تحسب لها ألف حساب بالخصوص مع تزايد مريديها

ينظر:

الزياني: المصدر السابق، ص، 208.

وكذلك:

ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 39.

وكذلك:

مسلم بن عبد القادر، الوهراني، أنيس الغريب والمسافر ، تح، رابح بونار، ص: 49.

[1]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 306.

*: هو أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن سالم التيجاني ولد سنة 1773م بعين ماضي ويكون جده محمد بن سالم انتقل من قبيلة آسفي مع أسرته إلى بني توجين– تجانة– بعين ماضي بنواحي الأغواط حيث تزوج منهم، ولقب التيجاني يعود لأخواله، تلقى تعليمه في مسقط رأسه ثم سافر إلى المغرب الأقصى اين اقترب بالعلماء والصالحين وقام بالتدريس، عاد احمد التيجاني إلى أرض

وأنصارها، هذا ما دفعها إلى التضييق عليها ما اضطر التيجاني إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى أين توفي 1230هـ/ 1815م[1]. لعود ابناه محمد الكبير ومحمد الصغير للجزائر وسكنا بعين ماضي، ليتولى محمد الكبير مشيخة الطريقة وسرعان ما بدأ الاحتكاك بينه وبين العثمانيين فقد فرض باي وهران حصارا على عين ماضي سنة 1820م، فعرض عليه التيجانيون المال في مقابل تراجعه وفك الحصار فقبل ذلك، وفي سنة 1822م قام الباي بومرزاق باي التيطري بهجوم آخر على عين ماضي ولكن حملته فشلت، ما ولد للتيجانيين كرها شديد للعثمانيين والغربة في الانتقام. كما تعرض باي قسنطينة لسي محمد الكبير وهو عائد من الحج عبر الصحراء، رغم فراره منه وهذا ما أجج الخلاف بين الطرفين ودفع بشيخ الطريقة التيجانية إلى إعلان الثورة على الأتراك.

وفي سنة 1826 م أعلن الثورة في الغرب الجزائري ضد السلطة العثمانية[2]، بعد أن تمكن من جمع عدد كبير من الأتباع توجه بهم إلى معسكر وانضم اليه في الطريق عرب الصحراء وحشم غريس في وقت رفضت قبائل المخزن البرجية والغرابة والزمالة والدواير وبعض القبائل العربية كبني شقران وبني عامر الاستجابة لدعوته والثورة على الأتراك، ليواجه محمد الكبير على مدينة معسكر مقاومة كبيرة من سكانها، ولما علم الباي حسن بأمر المعركة خرج من وهران بجيشه ومخزنه متوجها إلى مدينة معسكر لقتال محم الكبير وأتباعه وقبل ذلك قام بالاتصال ببعض اتباعه من حشم غريس وأغراهم بالمال مقابل التخلي عن التيجاني وهو ما تم بالفعل[3]، ليبقى مع محمد الكبير 300 من أتباع واجه بهم باي وهران والذي تمكن من قتلهم جميعا بما فيهم محمد الكبير وقطعوا رؤوسهم

الوطن ومكث بالابيض سيد الشيخ مدة 5 سنوات لينتقل بعدها إلى تلمسان ثم قصد البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج وفي طريقه مر بعدة بلدان وانخرط في عدة طرق صوفية ولكنه لم يأخذ أي منها.

ينظر:

محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في قبر من صلحاء فاس، تح: الشريف محمد حمزة، ص: 180.

[1]– محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في قبر من صلحاء فاس، تح: الشريف محمد حمزة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص: 183,

[2] –Ernest, Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, Ed, Ernest Leroux, 1888, P : 523.

[3]– أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص: 196.

وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس وبعث برأس التيجاني إلى الجزائر فعلقت على بابها وأرسل سيفه إلى السلطان الغازي محمود خان[1].

ب- **سلوك بعض المتصوفة:**

شهد المجتمع الجزائري أوائل العهد العثماني حالة من الانحلال الفكري وانتشار العادات السيئة التي ألصقت بالدين الإسلامي، في وقت شهد القطيعة بين العالم الاسلامي الجامد والعالم الاوروبي المتحرك، ازدهر التصوف في المجتمعات الاسلامية وكثر فيه ادعياء العلم من الفئة كانت تسمي نفسها حامية الشريعة الاسلامية وعشعش الفكر الخرافي حتى كاد المجتمع يصبح زاوية صوفية[2]. فمن أبرز مميزات الفترة العثمانية كثرة الطرق الصوفية إنّ التصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة كتاب الله والسنة والعلم بهما، والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله عن طرق التأمل، بالإضافة إلى التقوى والابتعاد عن مغريات السياسة

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: نفس المصدر، ص: 81.
[2]- حنيفي، هلايلي: مرجع سابق، ص: 229.

والسلطة، وعدم التعاون مع الظالمين. ولعل سيرة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الأخضري وعمر الوزان ... قد توفرت فيها هذه الشروط فقد أضافوا إلى العلم الزهد والتصوف، وفي المقابل ظهر أشخاص امتهنوا الخرافة والشعوذة، وهذا ما سجله كتاب الفكون وابن العنابي وابن عمار، لهذا نجد في كتب الرّحالة الأوروبيين كثيرا من الملاحظات الهامة على انتشار المرابطية والسحر والتخلف العقلي والعِلمي، في وقت كانت أوروبا تنادي بالحرية العقلية وتبدع علوماً وفنوناً للنهوض بالإنسان.

ومن هؤلاء الشيخ محمد **ساسي البوني** الذي انتصب للتدريس في جامع الجمعة بسيدي أبي مروان وصار عند أهل عنابة رئيس علم الظاهر والباطن، وكان قد ادعى مقام الأكابر من الأولياء وكان يجمع الأموال على كل طفل في البلد وكان يأخذ من أهل البادية الزكوات والجبايات والأموال من اهل الأندلس القاطنين بعنابة. وكان في تلمسان ونواحيها عددا من هؤلاء المتصوفة الذين خالطوا بين العلم والدروشة، ومن هؤلاء موسى الاتي واحمد بن بوجلال، فالمرابطون درجات في العلم والولاية والكرامة، منهم من كان من اهل المدن ومنهم من كان من أهل البادية، وكثيرا ما أدى حب المال وجمعه وإدعاء الولاية سبباً في تنافس الأولياء، ومن ذلك فقد وقع خلاف شديد بين أتباع محمد الساسي عندما دخل الشابي عنابة وانضم إليه بعض النّاس، فكان صيت الأخير يغطي على صيت ساسي في عنابة وعلى صيت بوعكاز في قسنطينة.

في هذا الجو ظهر شيخ الإسلام الصوفي العالم عبد الرحمان الأخضري* وكان من أبرز من أنجبت الجزائر خلال القرن 10هـ/ 16م نشأ نشأة علمية في بيت الصلاح، جده محمد بن عامر كان

---

*: أجمعت المصادر على انه ولد في بنطيوس ونشأ بها وهي قرية في بسكرة، ولد سنة 1514م، ارسله والده إلى الزيتونة ثم عاد إلى بنطيوس ساقر إلى قسنطينة، فالتقى بعلمائها واستقر بها وجعل من الزاوية التي أسسها جده محمد بن عامر مدرسة علمية اعتكف فيها على التدريس وتلقين العلم للطلبة وتخريج العلماء. وكان زاهد ينتقل من الحين لاخر إلى الجبال القريبة من بلدته كجبل أحمر حدو وجبل عياض و كان يتخذ من الهضاب العليا بسطيف مكانا للانعزال والخلوة، وكانت خلوته وعزلته وسيلة فاعلة في تأليفه لبعض مصنفاته، فقد نظم الدرة البيضاء في جبل أحمد حدو، وأتم شرح علم البيان من كتابه الجوهر المكنون في جبل عياض.
ينظر:

فقيها جمع عملا في الفتاوي، وكان والده محمد الصغير من علماء عصره في الفقه والنحو والتصوف، ومن الأوائل الذين شرحوا ألفية ابن مالك، كما يشير أبو القاسم سعد الله[1]، من أبرز مميزات القترة التي عاشها كثرة الطرق الصوفية التي لا تستمد أصولها من الكتاب والسنة، فضاع العلم وغاب العقل، مما ادى إلى ظهور ثورة فكرية وعقلية قادها بعض العلماء الذين انتصروا للتصوف الحقيقي، وحاربوا الدجل والشعوذة باسم التصوف، ولم يكن هذا الصوفي يؤلف الأذكار والأوراد وغيرها، بل هاجم أهل البدع ومن سماهم علماء السوء، ونظم الأخضري **القدسية** والتي تعد من اهم منظوماته التي ثار فيها على هؤلاء، وهي نظم في آداب السلوك، و تسمى المنظومة القدسية في طريق السنة، نظمها سنة 944هـ وتحوي 346 بيتا، حيث استعرض فيها المسائل المتعلقة بالتصوف من مجاهدات وكيفية تطهير النفس والروح، مبينا أوضاع المجتمع بإتباعه البدع والخرافات، منتقدا متصوفة زمانه، ووصف المنحرفين والأدعياء بالمزيفين الذين يستعملون جميع الوسائل لاستغلال العامة، ونشر الجهل والخرافة، فانتقدهم بشدة ورمى بعضهم بالزندقة واتخاذ التصوف وسيلة إلى الدنيا، فالتصوف في اعتقاد الأخضري ليس التوسط بالشيخ، واتخاذ الحضرة والجذب، ولكنه بإتباع السنة وإجماع الأمة، فالرجل الصالح هو المواظب على الطاعات[2]. يقول في مطلع القدسية:

يقول راجي رحمة المقتدر ... المذنب العبد الذليل الأخضري.

بحمد رب العالمين أبتدي .... ثم صلاته على محمد.

– بقدار، الطاهر: عبد الرحمان الأخضري، سيرة بيليوغرافية، مجلة أبعاد، مجلد8، العدد2، 2021، ص: 108.

ينسبه البعض إلى الجبل الأخضر الواقع بليبيا، ويورد المنياوي أن الأخضري نسبة إلى الأخضر جبل بالمغرب على ما ذكر لي بعض الطلبة المغاربة. (اي بلاد المغرب الكبير)

ينظر:

الشيخ مخلوف المنياوي ، حاشية على شرح الجوهر المكنون للدمنهوري، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1878، ص: 7.

في حين يرجعه عبد الرحمان الجيلالي إلى بطن من بطون الدوادة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح.

ينظر :

– عبد الرحمان، بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص: 80.

[1]–أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، نفسه، ص، 162

[2]–حنيفي، هلايلي: نفس المرجع، ص: 252.

ويقول في معرض حديثه عن الصوفيه :

والرقص والصراخ والتصفيق... عمداً بذكر الله لا يليق.

وإنما المطلوب في الأذكار ... الذكر بالخشوع والوقار.

فقد رأينا فرقةٌ إن ذكروا ... تبدّعوا وربما قد كفروا.

وصنعوا في الذكر صنعا منكراً .... صعباً فجاهدهم جهادا أكبراَ.

في نظمه سلم الرونق يصور بصدق حال مجتمعه حيث كثرت الفتن وانتشر الانحراف في المعتقدات الدينية عند بعض المنتسبين للتصوف الإسلامي فيقول:

ولبني إحدى وعشرين سنة ... معذرة مقبول مستحسنة.

لاسيما في عاشر القرون ... ذي الجهل والفساد والفتون.

كما ألف الأخضري السراج في الفلك وهو ابن تسع عشرة سنة، والدرّة البيضاء في الحساب وهو ابن عشرين سنة، والسُلم المرونق في المنطق وهو ابن إحدى وعشرين سنة، يقول سركيس في معجمه عالم صالح زاهد ورع قَدِمٍ راسخ في المعقول والمنقول[1].

و استمرت هذه الثورة الفكرية مع عبد الكريم الفكون الذي انتقد هو الىخر الانحراف الصوفي، يقول في مقدمة كتابه :" أما بعد فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أطلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيسا والعالم في منزلة يدعى من اجلها خسيساً.[2]" ولم يكتفي الفكون بذلك بل أوضح اثر الدروشة في نفسيته المتأثرة بما يحدث في عصره فيقول : " كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء، أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم، أو يذكروا في معارضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء الصوفية أ يكون أراذل العامة وأنذال الحمقى المغرورين أن يَتسمُّوا بأسمائهم، أو

[1]– يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج1، مطبعة سركيس ، مصر، 1928، ص: 406.

[2]– عبد الكريم، بن محمد الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، ص: 31.

يظن بهم اللواحق بآثارهم.[1] " وقد تأثر الفكون بثورة الأخضري على الدجل من خلال ما جاء في قصيدته القدسية وقد استشهد ببعض أبياتها في أكثر من موضع، ومنها استوحى تأليفه منشور الهداية. وكل من الفكون والأخضري يلتزمان بالتفسير القائم على مبادئ الطريقة الزروقية*، إذ اعتبر الأخضري الشيخ احمد زروق شيخه مع انه لم يأخذ عنه أو تلقى عليه، فهو شيخ والده الشيخ محمد الصغير وشيخ شيخه محمد بن علي الخروبي وقد أشاد به في قصيدة القدسية فيقول :

ففي كتاب شيخنا الزروق ... عجائب فائقة الرتوق.

كما أشاد به الفكون واعتبره شيخا له ونقل عنه أقوالا، فيقول في منشور الهداية :" قال احمد الزروق، لقد تتبعت بفكري للطرق الإصلاحية الموجودة بأيدي الناس الآن، فلم أجد عند أهلها نفحة ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما جاريا على القياس الأول، إلا لذة نفسانية غالبها من استشعار الرياسة، والالتذاذ بالامتياز، والاختصاص بالنسبة و نحوها[2]."

وكان بعض هؤلاء الأولياء يورثون الطريقة لأقربائهم كونها مجلبة للمال والاحترام ، فالشيخ طراد ورث ابنه رئاسة طريقته وأصبح يعطي الولاة الخراج والجباية للاستعانة بهم على المعارضين، فجمع المال كان الهدف الرئيسي فهذا أحمد بن سليمان المجذوب قد دار عليه الفقر فأقبل على البدعة والحضرة، والشيخ مخلوف تحول إلى الولاية بعد ان مارس التعليم وانتشر أمره بين الناس في قسنطينة وبواديها ولما توفي وجدت عنده أموال طائلة أوصى ببعض منها لطلبته. غير أنّ بعض المتصوفة كانوا أغنياء فلم يكونوا بحاجة إلى التكسب بالدين، وكان البعض من المنتسبين إلى الولاية من أهل الخير وخدمة الصالح العام، ومن هؤلاء الشيخ بلغيث وكان من المتحصلين على العلم في قسنطينة وتونس، إلى أن أصبح من أهل الفقه والمعرفة ومن الصالحين الفنانين، واستعمل السماع واتخذ طريقة خاصة به و بنى عدّة زوايا، وكان يبذل المال لتحرير الأسرى المسلمين الذين

---

[1]– المصدر السابق، ص: 32

*– نسبة إلى منهج الشيخ أحمد زروق والدعوة إلى ضرورة الجمع بين العلم والتصوف.

[2]– عبد الكريم، الفكون: نفس المصدر، ص، 143.

يقعون في قبضة النصارى وفي ترميم المساجد وصرفه على الفقراء والمساكين، وكان الشيخ الموهوب بن محمد بن علي الزواوي عارف بالله انتصب لتدريس النحو، وكان لا يتوانى في إصلاح ذات البين في أهله بزواوة وفي إطعام الفقراء وكان يمشي مع القوافل والسفار المجتازين ببلادهم لكي يأمنوا عن مكر أهل ذلك الوطن، وقد اتخذ الشيخ الموهوب أيضا الحجاب والخلوة[1].

فالدور الأساسي للمرابطين الصالحين في البوادي والأرياف حيث انعدمت السلطة، فكان عليهم مرافقة القوافل والأمن العام ووعظ الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم والإحسان للفقراء ونشر التعليم ومبادئ الدين وإصلاح ذات البين، وكان الورتلاني من أهل الزوايا الذين يتدخلون لإصلاح ذات البين وينشرون الأخوة الإسلامية. فقد ذكر انّه ذهب إلى بلاد القبائل لذلك لأن القتال كان لا يكاد يتوقف بين المسلمين هناك، وأنّ حكم السلطان غير نافذ فيهم لتحصنهم بالجبال، حتى أنّ عددا من القرى أصابها الخراب من الفتن، وقال في مناسبة أخرى أن إقليم البابور خال من يد السلطان وأحكامه فالوطن سائب، ولا حظ أنّ من عادات أهل ناحيته القبيحة قطعهم الميراث على النساء وعملهم بإرث الأخ لأخيه إذا مات، في ماله وزوجه[2].

أهم ما ميز سلوك المرابطين الخلوة والشيخوخة والكرامة، فكل مرابط كان حقيقة أو إدعاء يختفي مدة عن الأنظار عن النّاس قبل الإعلان دعوته، وعادة ما تكون الخلوة في البراري والبوادي والأماكن المنعزلة، وقد تكون مجرد حفرة في جبل أو سقيفة في خلاء أو خيمة، فإذا اشتهر أمره أعلن الشيخوخة (كونه شيخ طريقة) واتخذ زاوية يستقبل فيها المريدين ويتلقى الأموال والجبايات ويدرس فيها خططه، ولكي يقنع الناس بدعوته عليه أن يثبت أنه صاحب كرامة ومكاشافات وأحوال وانه يرى ما لا يراه الآخرون ويطلع على ما لا يطلعون عليه من الأسرار والبواطن.

إضافة إلى الجذب واتخاذ الحضرة وهي تجمع الفقراء المؤمنين بدعوة الشيخ للذكر الذي يتحول عن البعض وبالتدرج إلى رقص معين وبحركات موزونة وموقوتة وبأصوات منغومة تعلو وتنتقص بإشارات معينة

[1]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 488.

[2]–أبو القاسم، سعد الله: نفسه، ص: 488.

من الشيخ أو المقدم، وقد يكون في هذه الحضرات أمور ليس بينها وبين الدين والعبادة أيّة صلة، كالغيبوبة وسيلان اللعاب والتضارب... وكان من بعض سلوكيات بعض المرابطين زيارة القبور في جماعات وإظهار أحوال خاصة واتخاذ المشاهد والوعدات، وقد أضاف بعضهم إلى ذلك ألفاظا معينة من الأذكار وخطوط الرمل وكتابة الأحجبة ونحو ذلك من أساليب الشعوذة وممارسة السحر، وكانت المرائي أيضا من ميزات المرابطين فكان معظمهم يدعي رؤية الأنبياء والرسل والصحابة والملائكة كما كانت الاستخارة وسيلة الرؤية الصوفية.

البيبيوغرافيا:

أ- المصادر باللغة العربية :

1-ابن خلدون، عبد الرحمان: المقدمة، تح، مصطفى الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2012.

2-أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح، المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

3- ابن هطال، التلمساني: رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785م، تح، محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، الجزائر، 1970.

4- أحمد، مبارك: تاريخ حاضرة قسنطينة، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

5-أبو القاسم، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الأول، ط2، تونس، المكتبة العتيقة، 1985.

6-ابن مريم المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، تقديم، عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

7-الحسين، بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح، محمد بن أبي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا، 1908.

8-أحمد الشريف، الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تقديم: أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1972.

9-أبو راس، الناصري: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تح، سليمة بن عمر، دار الصنين، ليبيا، ط1، 2002.
10-أبو راس، الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح، محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
11-أبو راس، الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح، محمد غانم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
12- أحمد بن محمد المقري، التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، دار الصادر، 2011.
13-التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من الدر العقيان في تبيان شرف بني زيان، تح، محمد آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.
14- التمبكتي، نيل الابتهاج،ج1، ط1، تق، عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989.
15-المزاري، أغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران الجزائر اسبانيا فرنسا إلى آخر القرن 19م، تح، يحي بوعزيز، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،2009.
الشيخ مخلوف المنياوي ، حاشية على شرح الجوهر المكنون للدمنهوري، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1878.
16-السخاوي، محمد عبد الرحمان بن محمد شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت ، لبنان، 1992.
17- حمدان، خوجة: المرآة، تقديم: محمد العربي الزبيري، ANEP، الجزائر، 2014.
18-عبد الكريم، ابن الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيوت، لبنان، 1987.
19-علي بن محمد، التمكروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تح، محمد الصالحي، ط1، 2007، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
20-محمد بن يوسف، السنوسي: شرخ المختصر في المنطق، تح، سعيد عينوان، دار الكتاب العلمية.
21-محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، 1903.
22-محمد الصالح، بن العنتري: فريد منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
23-محمد صالح، العنتري: مجاعات قسنطينة، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

24-محمد بن يوسف السنوسي: أم البراهين، تح، خالد زهري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ، 2009.
25-مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر ، تح، رابح بونار، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1974.
26- محمد بن جعفر، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في قبر من صلحاء فاس، تح: الشريف محمد حمزة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004.

27-وليم، سبنسر: الجزائر في عهد ريّاس البحر، تح، عبد القادر زبادية، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1980.

ب-المراجع باللغة العربية:

28- أحمد توفيق، المدني: حروب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976.
29-أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
30- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، 1990.
31-أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
32-أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982.
33-أبو القاسم، سعد الله: شيخ الإسلام، عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
34-أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
35-أوجين، فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873، تر، صالح نور، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، 2010.
36-اسماعيل، بركات: الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المغيلي المازوني، ج1، دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
37- أدموند، دوتي: الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر، محمد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق، المغرب، 2014.
38-الطاهر، منزل: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، لابن صعد التلمساني 901هـ/1496، تح، ج2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2012.

بورقيبة رشيد وزملاؤه: الجزائر في التاريخ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، د،ط.
39-الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمشرقيين،ج7، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، 2002.
40-العجيلي، التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، المجلد2، منوبة، منشورات كلية الأدب.
41-الحاج محمد، بن رمضان الشاوش: كتاب الجوهر السوسان في التعريف بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
42 -الجيلالي، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الامة، الجزائر، 2009.
دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، تونس، مركز النشر الجامعي، 2003.
43-الحسني، عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر من البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، المسيلة، 2006،ص: 191.
44-صادق، محمد حاج: مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964.
45-ليلى، الصباغ: الوجود المغربي في المشرق المتوسطي، نقلا عن أبي السرور البكري: الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة.
46-عبد الحميد، حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، حياته مساره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986.
47-عبد الرزاق، قسوم: عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، ش،م،ن،ت، الجزائر، 1978.
صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، 1514- 1830، ط2، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
48- صلاح، مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها، نشاطها، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
49-حنيفي، هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص: 255.
50-شارل هنري شرشل: حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
51-عبد العزيز، فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1.

52-عبد العزيز، فيلالي: اندماج اليهود في الشعر والموسيقى الأندلسية من اشبيلية إلى قسنطينة وموقفهم من الثورة التحريرية، منشورات مؤسسة الإمام عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016.
53-عبد الله مقلاتي و محفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009.
54-عبد الباسط بن خليل اللمطي: رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، 866-871هـ/ 1462-1467م، جزء من الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تح، عبد السلام التدمري، الجامعة اللبنانية، طرابلس.
55 - نور الدين، عبد القادر: تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
56-ناصر الدين، سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
57-مختار، حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص: 205.
58-محمد، دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، الأصالة للنشر والتوزيع ط1، الجزائر، 2011.
59- يحي، بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، 2009.
60- يحي، بوعزيز: موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

ت- المصادر باللغة الفرنسية:

61- Boulifa, SA : Le Djurdjura à travers l'histoire, Bringau Imp Ed, Alger, 1925.
62-Ernest, Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, Ed, Ernest Leroux, 1888.
63- Charles , FERAUD, Histoire des villes de Constantine- Sétif, In R.S.A.C, Constantine, 1872.
64-Féraud, L : Un vœu d'Hussein Bey Constantine 1807, Revue Africain7 Janvier 1867.

ث- المقالات باللغة العربية:

65- بن عتو، حمدون: الثعالبة في الجزائر من خلال المصادر المحلية، الحوار المتوسطي، مارس 2017، العدد 17.

66- بكاي، رشيد: تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، العدد8، ديسمبر 2011.

67- بلخير، عمراني: علم المنطق في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، العدد7، 2020.

68- بخوش صبيحة: وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، 30 جوان 2008.

69-بلحسين، رحوي عباسية: دراسة سوسيو تاريخية للتعليم الجزائري من العهد العثماني إلى الاستقلال، مجلة الحوار الثقافي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، مج2، ع2، 21 سبتمبر 2013.

70- بيشي، محمد عبد الحليم: شيخ الإسلام وعالم العقليات، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، رقم1، 25 جانفي 2022، الجزائر.

71-بقدار، الطاهر: عبد الرحمان الأخضري، سيرة بيليوغرافية، مجلة أبعاد، مجلد8، العدد2، 2021.

72- جاب الله، الطيب: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، معارف العدد 14، 2013.

73- حميد، آيت حبوش: واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج4، ع7، 21 ديسمبر 2013.

74-سعودي، أحمد: الإدارة العثمانية في الجزائر والقوى الروحية – الطرق الصوفية- بين التوائم والتصادم، مجلة حقائق للدراسات النفسية والإجتماعية، العدد 9، مارس 2018.

75-عبد الجليل، التميمي: طراجيديا طرد الموريسكيين من الاندلس والمواقف الاسبانية والعربية والإسلامية منها، منشورات مركز الدراسات والترجمة الموريسكية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري، 2011.

76- عبد لسلام، موكيل: الطرق الصوفية في الجزائر بين المقتضيات الروحية والأدوار الاجتماعية، مجلة تنوير، العدد الثالث، الجزائر، 2017.

77- عبد القادر، صحراوي: الدور السياسي والعسكري للطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (16م-19م)، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 3-4، الجزائر، د،ت،ن.

78-كريمة، بن حسين: خنقة سيدي الناجي إبان العهد العثماني، المجلة المغاربية التاريخية، العدادن، 90/89، منشورات زغوان، تونس، ماي 1998.

79-لامية، زكري: من أعلام تلمسان أبو العباس أحمد الونشريسي، 834هـ- 914هـ/ 1430م-1508م، سيرة ومسيرة، مجلة عصور جديدة، العدد 10، جويلية 2013.
80-ناصر،الدين سعيدوني: ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية، مجلة الثقافة، العدد 78، نوفمبر- ديسمبر 1983.
81-ناصر الدين، سعيدوني، صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشرة، العدد السابع والعشرون، عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994م.
82-موصدق، خديجة: الابريز لابن راس الناصري المعسكري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، الجزائر،2009.
83- مسعود، بقادي: هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي في الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/ 16م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2013.

ج-الأطروحات:

84- الأخضر، عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان، 633-962هـ/ 1236-1554م، رسالة دكتوراه قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2004-2005.
85- بوعيني، سهام: أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدرة العقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الاعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009.
86- توفيق، دحماني: الضرائب في الجزائر 1792- 1865، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، الجزائر، السنة الجامعية، 2007- 2008.
87 -رشيدة، شدري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، فترة الدايات 1671، 1830، رسالة ماجستير، الجزائر، 2006.
88-فوزية، لزغم: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ودورها الثقافي والسياسي، 925- 1246هـ/ 1520-1830م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزئر، 1434-1435هـ/ 2013- 2014م.
89-نصر الدين، بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7 هـ/ 13م إلى القرن 10 هـ/16م" شهادة دكتوراه قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2010.

ح- القواميس:

90- ابن منظور : لسان العرب 9.
91- الزركشي : شرح مختصر الخرقي 4 .

92- البهوتي : كشاف القناع 2.
93-محمد رواس قلعجي : معجم لغة الفقهاء .
94-عادل، نويهض: كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.
95-نزيه حماد : معجم المصطلحات الاقتصادية.
96-يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج1، مطبعة سركيس ، مصر، 1928.

خ- المواقع الالكترونية:

97- موقع المؤسسة الكتانية عبر الموقع:
www.fondationkettani.org/